١٠٠٠ فائدة

مِن تفسير أضواء البيان

للعلامة محمد الأمين الشنقيطي
رحمه الله تعالى

تقديم
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد العزيز بن محمد السدحان

جمع وإعداد
د. أحمد بن براك الهيفي

مدار القبس للنشر والتوزيع

١٠٠٠ فائدة

من تفسير أضواء البيان

للعلامة محمد الأمين الشنقيطي

رحمه الله تعالى

١٠٠٠ فائدة

من تفسير أضواء البيان

للعلامة محمد الأمين الشنقيطي

رحمه الله تعالى

تقديم

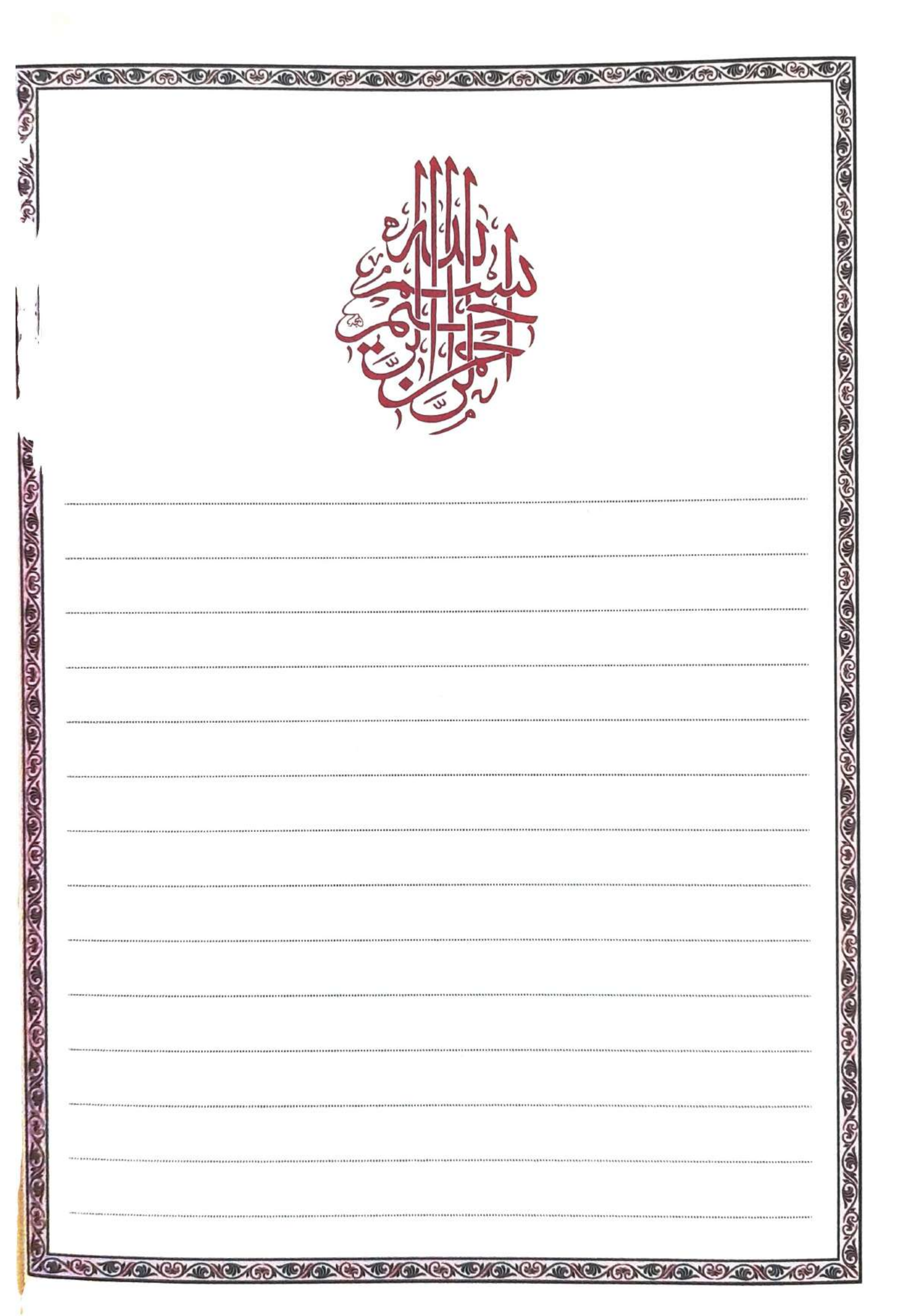
فضيلة الشيخ الدكتور

عبد العزيز بن محمد السدحان

جمع وإعداد

د. أحمد بن براك الهيفي

مدار القبس للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم، **وبعد**:

فإن تعليم العلم من أرفع الدرجات وأعظم القربات ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١].

قال بعض أهل العلم عند هذه الآية: الرفعة رفعتان؛ رفعة عامة لأهل الإسلام على سائر الناس، ورفعة خاصة لأهل العلم على سائر أهل الإسلام.

ومن أجلِّ العلوم ما يتعلق بالقرآن، ولقد اعتنى علماء المسلمين بتفسير القرآن واستنباط ما بلغته أفهامهم من حكمة أحكامه وبيان وظائف السُّنَّة مع القرآن وما يتبع ذلك.

والناظر في كتب التراجم يرى عشرات بل مئات التراجم لأئمة التفسير من خلال العصور الماضية، ناهيك عن تراثهم العلمي في التفسير وما يتعلق به.

وفي هذا العصر المتأخر برز أئمة في التفسير، ومن الثُّلَّة المقدمة لهؤلاء المفسرين الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (رحمه الله تعالى) في كتابه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» لا تخلو منه ـ غالباً ـ مكتبة طالب علم، فهذا الكتاب أودع فيه مؤلفه علماً غزيراً.

ولما كانت الهمم تضعف عن قراءة الكتب المطولة قام سعادة الدكتور أحمد بن براك الهيفي بتدوين ١٠٠٠ فائدة خلال قراءة الكتاب، ولقد أجاد الدكتور أحمد وأفاد في حسن اختياره وانتقاءه لتلك الفوائد.

وبما أن هذا البحث مادته العلمية فوائد منتقاة، فيقال في هذا المقام: إنَّ إفراد مصنف مستقل عن الفوائد سواء كان ذلك من خلال انتقاءٍ من كتاب أو من ذهن المصنف أمر مألوف عند أهل العلم، والناظر في دواوين فهارس الكتب سيرى مصداق ذلك، ومن باب المثال لا الحصر:

- «الفوائد» لابن القيم.
- «بدائع الفوائد» لابن القيم أيضاً.
- «فوائد في مشكل القرآن» للعز بن عبد السلام.
- «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني.
- «توجيه القارئ إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في فتح الباري». جمع وترتيب: الشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي.
- «الفوائد المنتقاة من فتح الباري» وكتب أخرى للشيخ عبد المحسن العباد البدر.
- «المنتقى من فرائد الفوائد» للشيخ ابن عثيمين.
- «الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي» لأبي الحسن علي بن عمر الحربي.
- «الفوائد المنتقاة الأفراد عن الشيوخ الثقات» لابن محمد بن خلف الواسطي.

- «الفوائد المنتخبة من الصحاح والغرائب» للمهرواني (المهروانيات) تخريج الخطيب البغدادي.

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتعلق فوائدها بعلم الحديث دراية في الأسانيد والجرح والتعديل وما يتبع ذلك.

وعوداً على بدء يقال:

إن القارئ والسامع لهذه الفوائد التي قام الدكتور أحمد بانتقائها، سيعجب من توقّد ذهن الشيخ الشنقيطي وتوسّع معارفه وحسن سبكه للفائدة، وأما الاستشهاد بالشعر فآية في الحفظ للقائل والمقول والشاهد من القول.

- ومما يؤكد ذلك التوسع المعرفي للشيخ الشنقيطي تنوع مباحث تلك الفوائد التي انتقاها د. أحمد الهيفي؛ فمن ذلك تأييد ونصرة مذهب أهل السُّنَّة ٨٣٦ ـ ٨٧٢.

- تعظيم شأن التوحيد ٨١٨ ـ ٨٩٦ ـ ٨٩٧.

- عن القراءات ٨٨٣.

- تفسير القرآن بالقرآن ٧٠٨.

- مفهوم المخالفة ٦٦٨ ـ ٧٧٤.

- الاستدلال بالعموم ٦٦٧.

- الاشتراك اللفظي واختلاف المعنى ٧١٣.

- الاستشهاد بضوابط اللغة العربية ٢٧٥ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٦ ـ ٥٠٨ ـ ٥٥٨ ـ ٧٣٤ ـ ٣٥٣ ـ ٧٧٨.

- الرد على بعض من يتكلف من المفسرين والعلماء في البحث عن أمور لا طائل تحتها وليس لمعرفتها فائدة ٣٤٧ ـ ٥٩٢.

- إزالة الإشكال ووضوح البيان في بعض مسائل الأنبياء عليهم السلام مع تعظيم مقام النبوة ٥٩٤.

- ضوابط أصولية ١١٤ ـ ١٢٤ ـ ٧٦٤.

- دقة الاستنباط ٧٧ ـ ٩٦ ـ ١٠٨ ـ ١١٣ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٣ ـ ٤٤٤ ـ ٤٥١ ـ ٢٧٠ ـ ١٩٣ ـ ١٨١ ـ ١٤٩ ـ ٨٥٦ ـ ٨٨١ ـ ٨٩٢ ـ ٩١٣ وغالب تلك الاستنباطات من مقوله وقليل منها من منقوله مما يدل على إقراره لها وحسن نظره.

- فوائد طبية ٤٤٧.

- السبر والتقسيم ٨١٠ ـ ٩٦٦.

- عن الاقتصاد ٧٨٦.

- كلمات جامعة ٨٢٨.

- من عجائب البحار ٧٨٣.

إلى غيره من الفوائد البديعة والنقولات النفيسة.

وأقول هنا: ـ شكر الله لسعادة د. أحمد الهيفي جهده وعنايته وأحسب أنّ من ثمرات هذا الجهد المبارك:

١ ـ التوسّع المعرفي لجامع تلك الفوائد بارك الله تعالى فيه ولمن قرأ تلك الفوائد.

٢ ـ الترغيب في قراءة أو الرجوع إلى كتاب «أضواء البيان».

٣ ـ شحذ الهمم لتدوين الفوائد من المطوّلات.

٤ ـ كثرة الدعاء لمؤلف الكتاب وكذلك الدعاء لمنتقي الفوائد.

٥ ـ العناية بنفائس الفوائد المقروءة والمسموعة وعدم التفريط في ذلك فذلك صيد والكتابة قيده.

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «كم من فائدة تمر بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها، لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها، أو يتجدد وقوعها وأحسن ما رأيت في مثل هذا كتاب «بدائع الفوائد» للعلامة ابن القيم، فيه بدائع العلوم، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيد ذلك، ولهذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة».

٦ ـ تقييد الفوائد ومراجعتها يعين على استحضارها والاستشهاد بها في مواطن البحث والنقاش، إلى غير ذلك من الفوائد القاصرة والمتعدية.

ختاماً أوصي: سعادة د. أحمد بأن يسلك هذا المسلك عبر استخراج الفوائد من المطولات وتقييدها لما في ذلك من الثمرات السابقة وغيرها. رحم الله تعالى الشيخ الشنقيطي وبارك الله في الشيخ أحمد[1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

عبد العزيز بن محمّد السدحان
١/٥/١٤٤٠هـ

---

(١) فائدة:
حدثني الأمير سعود بن محمد بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ أن الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ كان يحضر مجالس والده الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل ـ رحمه الله تعالى ـ وكان هذا الامير معروفًا بل مشهورًا بالعبادة والزهد وكان يأنس كثيرًا بزيارة الشيخ الشنقيطي لواسع علمه وزهده.
وكان الشيخ الشنقيطي يحثني على أن يكون لي نصيب من قراءة بعض كتب الأدب وأنها تزيد ثقافة طالب العلم وبخاصة في لغة العرب وأشعارهم. =

....

= ثم قال لي الأمير سعود:
ومن العجيب أني سألت الشيخ الشنقيطي عن بيت من الشعر فقال: لا أعرف قائله ولا معناه!!
والبيت هو:

سقتها خروق بالمسامع لم تكن عِلاطًا ولا مخبوطةً في الملاغم

وبعد البحث والسؤال مني وإيضاح من الأمير سعود لي ـ رحمه الله تعالى ـ عرفت أن البيت للفرزدق.
جاء في كتاب الكامل للمبرد:
الملاغم: العوارض
يقول: عَلِم أرباب الماء لمن هي ـ الأبل ـ
فسقاها ما سمعوه، من ذكر أصحابها لعزتهم ومنعتهم. ولم تحتج أن تكون بها سِمة.
والعِلاط: وسمٌ في العنق، والخباط في الوجه.
والشاهد من القصة بعد الفائدة العلمية هو تواضع الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى، فمع سعة علمه وكثرة حفظه لشواهد الشعر، اعترف بعدم علمه بذلك البيت ولم يتعالم.. وهكذا العلماء الربانيون رحمهم الله تعالى.



مقدمة

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الذي بعثه الله للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

فهذا كتاب «١٠٠٠ فائدة من تفسير أضواء البيان للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، جمعتها من خلال قراءة الكتاب مرتبة على ترتيب المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الفتح، وقد كتبت ترجمة مختصرة عن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية الكتاب.

وأهمية هذه الفوائد تأتي من أهمية هذا الكتاب الذي يعد أهم كتب التفسير المعاصرة.

ولأن مؤلف هذا الكتاب هو العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ملئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه، آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب».

وقال عنه الشيخ ابن باز مفتي المملكة العربية السعودية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من سمع حديثه حين يتكلم في التفسير، يعجب كثيراً من سَعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته، ولا يملُّ سماع حديثه».

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله».

وقال:

«يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص بشيخ الإسلام ابن تيمية».

وقال عنه الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يُسمّى شيخ الإسلام لكان هو».

كان العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحراً لا ساحل له في العلم، وتعجب عندما تقرأ كتابه فترى انتصاره لمعتقد السلف الصالح تقريراً وتأكيداً وردّاً على من خالفه، وعندما تقرآ آية تتعلق بها أحكام فقهية مثل الحج فيبحر بك في فقه الحج حتى يخيل إليك أنك تقرأ كتاباً من كتب الفقه.

وعندما يستشهد بأشعار العرب ترى أنك أمام شاعر أديب جهبذ، وهكذا في علم القراءات والحديث وأصول الفقة والمنطق وغيرها من العلوم.

رحم الله العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمة واسعة وجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل هذا العلم في ميزان حسناته.

وقد شجعني شيخنا الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان حفظه الله لطباعة هذه الفوائد ونشرها، وأكرمني ـ أكرمه الله وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة ـ بكتابة مقدمة لهذا الكتاب، ولا

أملك إلا أن أدعو له أن يجزيه الله عني خير الجزاء، وأن يجعله مباركاً أينما كان. . . آمين.

كتبه:
د. أحمد بن براك الهيفي
العارضية ـ الكويت
٢٨/٤/١٤٤٠هـ ـ ٤/١/٢٠١٩م
البريد الإلكتروني:
abalhaifi@hotmail.com

ترجمة العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله تعالى[١]

الإمام العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ابن سيدي أحمد بن المختار الشنقيطي وهو من قبيلة حمير العربية، ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥هـ حوالي ١٧ فبراير ١٩٠٥م مدينة تنبه في موريتانيا، حيث نشأ يتيماً فكفله أخواله وأحسنوا تربيته ومعاملته، فدرس في دارهم علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ، فكان ذلك البيت مدرسته الأولى. ثم اتصل بعدد من علماء بلده فأخذ عنهم، ونال منهم الإجازات العلمية. عُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء ٨/ ٧/ ١٣٩١هـ.

• قال السخاوي: (من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه)؛ أي: من ترجم له وأرخه.

---

(١) ترجمة: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي د. عبد الرحمٰن السديس.
ترجمة: تلميذه الشيخ عطية سالم، وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان.

• ولد رحمه الله عام ١٣٢٥هـ ونشأ يتيماً فقد توفي والده وهو صغير وترك له ثروة من الحيوان والمال، وحفظ القرآن وهو دون العاشره من عمره، درس خلال حفظه للقرآن بعض المختصرات في فقه الإمام مالك. ودرس الأدب والنحو، والسيرة على زوجة خاله. قال الشيخ: أخذت عنها مبادئ النحو ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم ونظم الغزوات.

• اهتمام والدة الشيخ الشنقيطي به لطلب العلم:

قال الشيخ رحمه الله: لما حفظت القرآن الكريم وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه على الأقران عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون؛ فجهزتني والدتي بجملين أحدهما عليه مركبي وكتبي والآخر عليه نفقتي وزادي وصحبني خادم ومعه بقرات وقد هيئت لي مركبي كأحسن ما يكون المركب وملابس كأحسن ما تكون فرحاً بي وترغيباً لي في طلب العلم.

• كان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء ٨/ ٧/ ١٣٩١هـ.

• مشايخه:

• الشيخ محمد بن صالح.

• الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني.

• الشيخ محمد بن النعمة بن زيدان.

- الشيخ أحمد بن عمر.
- الشيخ أحمد فال بن آدُّو الجكني.
- الشيخ أحمد بن مُودْ الجكني.

- **تلاميذه:**

- الشيخ عبد العزيز بن باز، درس عليه في المنطق.
- والشيخ عطية سالم.
- الشيخ حماد الأنصاري.
- الشيخ محمد صالح بن عثيمين.
- الشيخ عبد الرحمٰن البراك.
- الشيخ بكر أبو زيد.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.
- الشيخ عبد الله الغديان.
- الشيخ عبد المحسن العباد.
- الشيخ صالح الفوزان.

وغيرهم الكثير الذين درسوا عليه في الجامعة والمعهد ودروسه في أنحاء السعودية.

- **مؤلفاته:**

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.
- الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً.

- ألفية في المنطق.
- آداب البحث والمناظرة (وهو من الكتب المميزة للشيخ).
- خالص الجمان في أنساب العرب.
- نظم في الفرائض.
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.
- من أجمل كتب العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ «دَفْعُ إِيهَام الِاضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ» كتبه في خمس عشرة ليلةً، وهي إجازةُ الامتحانات عام ١٣٧٣هـ.
- وكتاب «رحلةُ الحجِّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ» ألفه وهو في طريقه إلى الحج، طُبعَ بعدَ وفاتِه بعشرِ سنواتٍ.

وغيرها الكثير، بالإضافة إلى المحاضرات التي ألقاها ونشرت في رسائل مستقلة.

- يقول عنه أحد طُلّابه - وهو الشيخ عبد الله أحمد قادري -: «كان قوي العاطفة، يتفاعل مع الآيات، ويظهر لمن يراه ويسمعه أنه يفسر ويتفكر ويتعجب ويخاف ويحزن ويُسر، بحسب ما في الآيات من المعاني».

«كان يُحرك يديه ويتحرك وهو على مقعده بدون شعور من شدة تفاعله مع معاني الآيات، فكان مقعده يزحف حتى يصل إلى المقعد الذي يقابله من مقاعد الطلاب».

«وكان يدخل قاعة الدرس وهو مريض لا يكاد يستطيع الكلام من وجع حلقه، ولكنه بعد قليل من بدء المحاضرة ينطلق بصوته وينسى أنه مريض لشدة تفاعله مع المعاني التي يلقيها».

• قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ملئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه، آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب.

• وقال عنه الشيخ ابن باز: (من سمع حديثه حين يتكلم في التفسير، يعجب كثيراً من سَعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته، ولا يملُّ سماع حديثه).

• قال عنه العلامة الألباني: (من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله).

وقال:

(يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص بشيخ الإسلام ابن تيمية).

• قال الشيخ بكر أبو زيد: (لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يُسمّى شيخ الإسلام لكان هو)، (كان متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية).

• قال الشيخ حماد الأنصاري: (له حافظةٌ نادرةٌ قوية، ويُعتبر في وقته نادراً).

• قال الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ: جزى الله عنا الشيخ محمد الأمين خيراً على بيانه هذا فالجاهل عرف العقيدة والعالم عرف الطريقة والأسلوب.

• جوابه عندما نصحوه بالزواج وهو منشغل بالعلم:

دعاني الناصحون إلى النكاح ... غداة تزوَّجتْ بيض الملاحِ

فقلت لهم دعوني إن قلبي ... من العي الصراح اليوم صاحي

ولي شغل بأبكار العذاري ... كأن وجوهها ضوء الصباح

أراها في المهارق لابسات   براقع من معانيها الصحاح
أبيت مفكراً فيها فتضحى   لفهم القدم خافضة الجناح
أبحث حريمها جبراً عليها   وما كان الحريم بمستباح

• الشيخ عطية محمد سالم وهو من أبرز تلاميذ الشنقيطي عندما كتب سيرة الشنقيطي... يصف درس العلامة الشنقيطي في الحرم النبوي يقول: كان درسه أشبه بحديقة غناء احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار، في تنسيق الغرس وجمال الجداول تشرح الصدر وتشفي القلب وتروق للعين، فيستفيد منه جميع الناس ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه.

وقد رغب العلامة الشنقيطي بالتدريس في المسجد النبوي وكان يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله، وتم ذلك بأمر الملك عبد العزيز.

• وقال الشيخ عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت الشيخ عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فقال: خشيت أن أشتهر به والشعر أعذبه أكذبه.

• دعاء العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه «أضواء البيان». اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه واجعل مثواه الفردوس الأعلى.. آمين

«ونرجو الله القريب المجيب إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك أن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم جميع إخواننا المسلمين الذين يأتمرون بأوامره بالبركات والخيرات في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب».

• قال الإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد جئت

معي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة: القناعة، وكان يردد: الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي.

• وقال أيضاً: «لا توجد في القرآن آية قال فيها الأقدمون شيئاً إلا حفظته».

• قال الشيخ خالد بن عثمان السبت في كتابه «العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير» وهو يصف درس العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الحرم النبوي «ومع هذه الغزارة في المعلومات فقد كان الشيخ (رَحِمَهُ اللَّهُ) حين يلقى درسه كالسيل المنحدر، فهو يسرع في الإلقاء، وتتوارد عليه هذه المعلومات المتنوعة، التي تمده بها تلك الذاكرة النادرة، فيضع كل معلومة في موضعها، فتأتي متسقة مترابطة، كل ذلك في لغة عالية، لا لحن فيها ولا سوقية».

• قصة الشيخ ابن عثيمين مع العلامة الشنقيطي رحمهما الله:

يقول الشيخ محمد العثيمين (رَحِمَهُ اللَّهُ):

«كنا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا إذا رأيته قلت: هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم!! رث الثياب، ليس عليه آثار الهيبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا فتذكرت الشيخ عبد الرحمٰن السعدي، وقلت في نفسي: أترك الشيخ عبد الرحمٰن السعدي وأجلس أمام هذا البدوي؟! فلما ابتدأ الشنقيطي درسه انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء، وفحل من فحولها، فاستفدنا من علمه وسمته وخلقه وزهده وورعه».

• العلامة الشنقيطي انتهى في تفسيره أضواء البيان إلى سورة

المجادلة وأكمل تلميذه الشيخ عطية محمد سالم بقية التفسير رحمهما الله.

• آخر آية فسرها العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير أضواء البيان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

• قال الشيخ أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي في كتابه الماتع «مجالس» ختم العلامة الشنقيطي تفسير القرآن الكريم في المسجد النبوي ثلاث مرات.

• توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في ١٧ ذو الحجة ١٣٩٣هـ الموافق ١٠ يناير ١٩٧٤، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن في مقبرة المعلاة بمكة، وصُلي عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي الشريف.



من فوائد الإمام العلّامة
محمد الأمين الشنقيطي
في تفسيره أضواء البيان



سُورَةُ الفَاتِحَةِ

١ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

قال ﷺ: «**هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**» رواه البخاري.

٢ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: لاستغراق جميع المحامد وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به.

٣ قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

اشتقاق العالم من العلامة؛ لأن وجود العالم علامة لا شك فيها على وجود خالقه، متصفاً بصفات الكمال والجلال.

٤ قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

المراد بالدِّين في الآية: الجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

٥ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله: لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات؛ فالنفي: خلع جميع

المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

٦ **قوله تعالى:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي: لا نطلب العون إلا منك وحدك؛ لأن الأمر كله بيدك وحدك لا يملك أحد منه معك مثقال ذرة.

وإتيانه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يُتوكل إلا على من يستحق العبادة؛ لأن غيره ليس بيده الأمر.

٧ **قوله تعالى:** ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعاً مغضوباً عليهم جميعاً، فإن الغضب إنما خص به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه؛ لأنهم يعرفون الحق وينكرونه، ويأتون الباطل عمداً، فكان الغضب أخص صفاتهم. والنصارى جهلة لا يعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم.

٨ **قوله تعالى:** ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال ﷺ: «**المَغْضُوبِ عليهم اليَهودُ والضَّالِّينَ النَّصارى**».

٩ بيّن جَلَّ وَعَلَا **أن** ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود في قوله جَلَّ وَعَلَا فيهم: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]؛ وبيّن جَلَّ وَعَلَا أن ﴿الضَّالِّينَ﴾: النصارى في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧].



سُورَةُ البَقَرَةِ

١٠ قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية: الْهُدَى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق لا الْهُدَى العام الذي هو إيضاح الحق.

١١ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

عبَّر بمن التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله، وبيَّن في مواضع أخرى أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد على الحاجة، وسد الخلة التي لا بد منها، وذلك كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها.

١٢ قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

والغشاوة: الغطاء على العين يمنعها من الرؤية، ومنه قول الشاعر:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

١٣ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

الختم: الاستيثاق من الشيء حتى لا يخرج منه داخل فيه ولا يدخل فيه خارج عنه.

١٤ العرب تطلق لا شيء على ما لا نفع فيه، ألا ترى أن الله يقول في المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨] مع أنه يقول فيهم: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، ويقول فيهم: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛ أي: لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم، ويقول فيهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وما ذلك إلا لأن الكلام ونحوه الذي لا فائدة فيه كلا شيء: فيصدق على صاحبه أنه أعمى وأصم وأبكم، ومن ذلك قول قعنب ابن أم صاحب:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

١٥ **قوله تعالى:** ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

ضرب الله مثلاً لما جاء به محمد ﷺ من الهدى والعلم بالمطر؛ لأن بالعلم والهدى حياة الأرواح كما أن بالمطر حياة الأجسام.

١٦ **قوله تعالى:** ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩].

ضرب الله ﷻ في هذه الآية المثل لما يعتري الكفار والمنافقين من الشبه والشكوك في القرآن، بظلمات المطر المضروب مثلاً للقرآن.

﴿وَرَعْدٌ﴾ ضرب الله المثل بالرعد لما في القرآن من الزواجر التي تقرع الآذان.

﴿وَبَرْقٌ﴾ ضرب ﷻ المثل بالبرق لما في القرآن من نور الأدلة القاطعة.

١٧ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

قال بعض العلماء: ﴿مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: مهلكهم، ويشهد لهذا القول قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ أي: تهلكوا عن آخركم.

١٨ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٠].

يكاد نور القرآن لشدة ضوئه يعمي بصائرهم كما أن البرق الخاطف الشديد النور يكاد يخطف بصر ناظره.

١٩ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فيه معنى الإثبات من لا إله إلا الله.

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة: ٢٢] يتضمن معنى النفي منها على أكمل وجه وأتمه.

٢٠ أول نداء في المصحف يوجه إلى الناس جميعاً بعبادة الله كان لاستحقاقه عبادته وحده؛ لأنه متصف بصفة الخلق، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٢١ إحياء الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢].

٢٢ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة.

٢٣ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ٣٤].

محتمل لأن يكونوا سجدوا كلهم أو بعضهم، ولكنه بيّن في مواضع أخر أنهم سجدوا كلهم ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

٢٤ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

لم يبين هنا ما هذه الكلمات وبيّنها في الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢٥ من إطلاق الظن على اليقين **قوله تعالى**: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]؛ أي: يوقنون أنهم ملاقو ربهم.

٢٦ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

٢٧ من الآيات الدالة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، قوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

٢٨ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

هو جِبْرِيل عليه السلام على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

٢٩ قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فهذه الآية تدل على أن السحر موجود له حقيقة يكون سبباً للتفريق بين الرجل وامرأته.

٣٠ الآيات الدالة على أن الساحر كافر:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣١ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤].

فالخراب معنوي، وهو خراب المساجد بمنع العبادة فيها، وقال بعضهم: هو الخراب الحسي، والآية نزلت فيمن خرب بيت المقدس، هذا قول بعض العلماء، وبعضهم قال: نزلت في صد المشركين النبي ﷺ عن البيت الحرام في عمرة الحديبية، وعلى هذا فالخراب معنوي وهو خراب بمنع العبادة فيها.

٣٢ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد أجاب الله دعاء إبراهيم ﷺ في بعث الرسول المذكور ببعثه محمداً ﷺ قال ﷺ: «**أنا دعوة إبراهيم**».

٣٣ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وَنَفْيُ الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما.

٣٤ لا يصف الله ﷻ، أعلم بالله ﷻ، من الله ﷻ، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

٣٥ **قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: خياراً عدولاً. ومنه قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

٣٦ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: صلاتكم إلى بيت المقدس ـ قبل تحويل القبلة إلى مكة ـ.

٣٧ عن عروة قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: إني لا أظن رجلاً لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره. قالت: لم؟ قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فقالت: ما أتم الله حج امرئ، ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول، لكان: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما. [رواه مسلم]

٣٨ ما هي الحكمة من السعي بين الصفا والمروة؟

هاجر سعت بينهما السعي المذكور، وهي في أشد حاجة، وأعظم فاقة إلى ربها؛ لأن ثمرة كبدها، وهو ولدها إسماعيل تنظره يتلوى من العطش في بلد لا ماء فيه، ولا أنيس، وهي أيضاً في جوع، وعطش في غاية الاضطرار إلى خالقها ﷻ، وهي من شدة الكرب تصعد على هذا الجبل فإذا لم تر شيئاً جرت إلى الثاني فصعدت عليه لترى أحداً. فأمر الناس بالسعي بين الصفا، والمروة

ليشعروا بأن حاجتهم وفقرهم إلى خالقهم ورازقهم كحاجة وفقر تلك المرأة في ذلك الوقت الضيق، والكرب العظيم إلى خالقها ورازقها، وليتذكروا أن من كان يطيع الله كإبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا يضيعه، ولا يخيب دعاءه وهذه حكمة بالغة ظاهرة دل عليها حديث صحيح.

٣٩ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

نقل القرطبي عن قتادة وغيره: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ في أكله فوق حاجته، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها.

٤٠ قوله تعالى: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أشار في موضع آخر إلى أن البأس القتال، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ [الأحزاب: ١٨].

٤١ من هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص؛ فإن الإنسان إذا غضب وهمَّ بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي كان يريد قتله، وحيي هو؛ لأنه لم يَقتل فيُقتل قصاصاً، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة كما ذكرنا. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٤٢ فائدة في أحكام نسخ القرآن: اعلم أنه يجوز نسخ الأخف بالأثقل، والأثقل بالأخف. فمثال نسخ الأخف بالأثقل: نسخ التخيير بين الصوم والإطعام المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى

ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، بأثقل منه، وهو تعيين إيجاب الصوم في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٤٣ قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

لم يبين هنا هل أنزل في الليل منه أو النهار؟

ولكنه بيَّن في غير هذا الموضع أنه أنزل في ليلة القدر من رمضان. وذلك في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣]؛ لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر على التحقيق.

٤٤ قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فجميع الشهور من حيث الزمن سواء، ولكن بمناسبة بدء نزول القرآن في هذا الشهر جعله الله محلّاً للصوم وأكرم فيه الأمة كلها بل العالم فتتزين فيه الجنة، وتصفد فيه مردة الشياطين وتتضاعف فيه الأعمال.

٤٥ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

دعاؤهم لا يرد؛ إما أن يعطوا ما سألوا؛ أو يدخر لهم خير منه؛ أو يدفع عنهم من السوء بقدره.

٤٦ قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

المراد بما كتب الله لكم: الولد، على قول الجمهور وهو اختيار الطبري.

٤٧ قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

المراد بما استيسر من الهدي: ما تيسر مما يسمى هدياً، وذلك شامل لجميع الأنعام: من إبل، وبقر، وغنم.

٤٨ قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والصيغة في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ صيغة خبر أريد بها الإنشاء: أي: فلا يرفث ولا يفسق، ولا يجادل.

٤٩ عن ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون، ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس، فأنزل جَلَّلهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال ابن حجر في «الفتح» في الكلام على هذا الحديث: قال المهلب: في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى.

وفيه دليل ظاهر على حرمة خروج الإنسان حاجّاً بلا زاد ليسأل الناس، وظاهرها العموم في كل حاج يسأل الناس.

٥٠ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

لا خلاف بين العلماء أن المراد بالفضل: التجارة.

٥١ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

أمر الله النبي ﷺ والمسلمين أن يفيضوا من حيث أفاض الناس وهو عرفات لا المزدلفة كفعل قريش وحكى الطبري عليه الإجماع.

٥٢ قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

يدخل في الذكر المأمور به: رمي الجمار بدليل قوله جل وعلا: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وذلك يدل على أن الرمي شرع لإقامة ذكر الله.

٥٣ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

أن الحاج يرجع مغفوراً له، ولا يبقى عليه إثم، سواء تعجل في يومين، أو تأخر إلى الثالث، ولكن غفران ذنوبه هذا مشروط بتقواه ربه في حجه، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٥٤ الجمرة في اللغة: الحصاة، وسميت الجمرة التي هي موضع الرمي بذلك؛ لأنها المحل الذي يرمى فيه بالحصى، وعلى هذا فهو من تسمية الشيء باسم ما يحل فيه. وقال بعض أهل العلم: أصل الجمرة من التجمر بمعنى: التجمع، تقول العرب: تجمر القوم، إذا اجتمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض.

٥٥ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢].

لم يبين هنا سخرية هؤلاء الكفار من هؤلاء المؤمنين، ولكنه

بيَّن في موضع آخر أنها الضحك منهم والتغامز، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

٥٦ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

لم يبين هنا فوقية هؤلاء المؤمنين على هؤلاء الكفرة، ولكنه بيَّن في موضع آخر كقوله ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥].

٥٧ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وأقرب الأقربين بعد الوالدين هم الأولاد والزوجة، وفي الحديث في الحث على الإنفاق على الزوجة: «**حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته**».

٥٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧] بيَّن في موضع آخر أنهم لم يستطيعوا وحصل لهم اليأس ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

٥٩ فائدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩].

لم يبين هنا ما هذا الإثم الكبير؟ ولكنه بيَّن في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهي قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

٦٠ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

المراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات.

٦١ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ظاهر عمومه شمول الكتابيات، ولكنه بيّن في آية أخرى أن الكتابيات لسن داخلات في هذا التحريم: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥].

٦٢ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

أي: لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير على الأصح في تفسير الآية.

٦٣ قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

المراد باللغو:

١ ـ ما يجري على لسان الإنسان من غير قصد كقوله: «لا والله».

٢ ـ أن يحلف على ما يعتقده فيظهر نفيه.

٦٤ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣١].

النهي عن إمساك المرأة مضارة لها لأجل الاعتداء عليها بأخذه ما أعطاها؛ لأنها إذا طال عليها الإضرار افتدت منه.

٦٥ المطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

٦٦ **قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال ابن كثير: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: موسى ومحمداً ﷺ، وكذلك آدم.

٦٧ **قوله تعالى:** ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يفهم من هذه الآية: أن طرق الضلال متعددة لجمعه الظلمات وأن طريق الحق واحدة لإفراده النور. قال ابن كثير: ولهذا وحَّد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة.

٦٨ **قوله تعالى:** ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الله لا يؤاخذ الإنسان بفعل أمر إلا بعد أن يحرمه عليه.

٦٩ استصحاب العدم الأصلي قبل ورود الدليل الناقل عنه حجة في الإباحة ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ما سلف؛ أي: ما مضى قبل نزول التحريم.

٧٠ من جمع المال بالطرق التي لا يبيحها الله ﷻ فلا خير في ماله، ولا بركة كما قال ﷻ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٧١ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كتابة الدين واجبة؛ لأن الأمر من الله يدل على الوجوب، ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ لأن الرهن لا يجب إجماعاً وهو بدل من الكتابة عند تعذرها في الآية فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً.

٧٢ وربما عمل الإنسان بما علم فعلمه الله سبحانه ما لم يكن يعلم، كما يشير له قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٧٣ مواطن الشهادة الواردة في القرآن:

- الإشهاد في البيع: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- الطلاق، والرجعة: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].
- كتابة الدين: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٧٤ منشأ الآثام والطاعات جميعاً من القلب؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٧٥ ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله تعالى: «**نعم**».

٧٦ **قوله تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الإصر: الثقل في التكليف.

ومنه قول النابغة:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم   والحامل الإصر عنهم بعد ما عرفوا



سورة آل عمران

٧٧ **قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

وأما التوراة والإنجيل، فقد عبَّر في نزولهما بـ: أنزل التي لا تدل على تكثير؛ لأنهما نزلا جملة في وقت واحد.

٧٨ **قوله تعالى:** ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

عبَّر في نزول القرآن بـ: نزل بالتضعيف لكثرة نزوله.

٧٩ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يئول إليها كقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٨٠ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

الرسوخ: الثبوت، ومنه قول الشاعر:

لقد رسخت في القلب مني مودة   لليلي أبت آياتها أن تغيرا

٨١ **قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

نزلت في اليهودي واليهودية اللذين زنيا وهما محصنان ورجمهما النبي ﷺ.

فذَمُّهُ تعالى في هذا الكتاب للمُعْرِض عما في التوراة من رجم الزاني المحصن، دليل قرآني واضح على بقاء حكم الرجم.

٨٢ **قوله تعالى:** ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

ومعنى كونه مصدقاً بكلمة من الله: أنه مصدق بعيسى، وإنما قيل لعيسى كلمة؛ لأن الله أوجده بكلمة هي قوله: «كن» فكان.

٨٣ **قوله تعالى:** ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وأصله من السواد وهو الخلق الكثير؛ فالسيد من يطيعه ويتبعه سواد كثير من الناس، والآية فيها دليل على إطلاق السيد على من ساد من الناس.

٨٤ **قوله تعالى:** ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن تبتلاً منه وانقطاعاً لعبادة الله، وكان ذلك جائزاً في شرعه وأما سُنَّة النبي ﷺ فهي التزويج.

٨٥ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آلعمران: ٥٩].

كيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم؟!!

٨٦ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

دلت هذه الآية: أن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له.

٨٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

فذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه: أول بيت وضع للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وفيه آيات بينات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج والعمرة إليه.

قال الشيخ عطية محمد سالم: «مسجد قباء له ارتباطات عديدة بالمسجد الحرام: من حيث الزمن فهو أسبق من مسجد المدينة ومن حيث الأولية النسبية فالمسجد الحرام أول بيت وضع للناس وقباء أول مسجد بناه المسلمون، والمسجد الحرام بناه الخليل، وقباء بناه النبي ﷺ، والمسجد الحرام كان مكانه باختيار من الله وشبيه به مكان مسجد قباء.

ومن حيث الموضوعية؛ فالمسجد الحرام مأمن وموئل للعاكف والباد. ومسجد قباء مأمن ومسكن وموئل للمهاجرين الأولين، ولأهل قباء، فكان للصلاة فيه شدة ارتباط بالمسجد الحرام تجعل المتطهر في بيته والقاصد إليه للصلاة فيه كأجر عمرة».

٨٨ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿خَيْرَ﴾ صيغة تفضيل، والآية نص صريح في أنهم ـ أمة محمد ﷺ ـ خير من جميع الأمم، بني إسرائيل وغيرهم.

٨٩ قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧].

أي: فيها برد شديد محرق؛ ومنه قول حاتم:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا واقد ريح صر

عل يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

٩٠ قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

أي: لا يقصرون في مضرتكم، ومنه قول الشاعر الجعدي:

وأشمط عرياناً يشد كتافه يلام على جهد القتال وما ائتلا

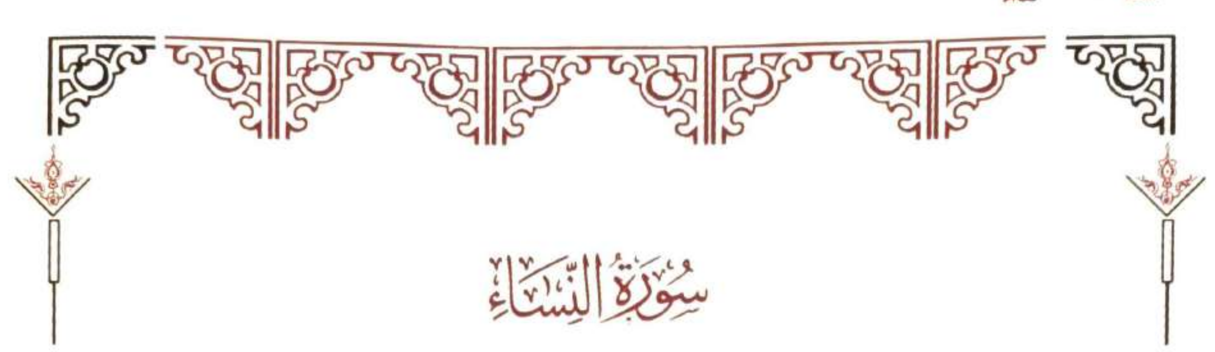
٩١ قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقد دلَّت هذه الآية على أن كظم الغيط والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة، وكفى بذلك حثّاً على ذلك.

٩٢ عن ابن عباس: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قاله إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقاله محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] [البخاري].





٩٣ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

أي: إثم عظيم، بيَّن في موضع آخر مبلغ هذا الحوب: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٩٤ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

وإن خفتم ألا تقسطوا في زواج اليتيمات فدعوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء سواهن.

٩٥ قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

إيتاء اليتامى أموالهم مشروط بشرطين: (البلوغ، إيناس الرشد). وتسميتهم يتامى في الموضعين، إنما باعتبار يتمهم الذي كانوا متصفين فيه قبل البلوغ، إذ لا يُتْم بعد البلوغ إجماعاً.

٩٦ قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

الرجل مترقب للنقص بالإنفاق على نسائه وبذل المهور لهن والبذل في نوائب الدهر، والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها

المهر وإنفاقه عليها وقيامه بشؤونها، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر نقصه المترقب حكمته ظاهرة واضحة لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته.

٩٧ وقعة بدر آية؛ أي: علامة على صحة دين الإسلام ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣].

٩٨ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

ويشترط في شهود الزنى أن يكونوا ذكوراً ولا تصح فيه شهادة النساء بحال، ولا نعلم أحداً من أهل العلم خالف في ذلك، إلا شيئاً يروى عن عطاء، وحماد أنه يقبل فيه ثلاثة رجال وامرأتان.

وقال ابن قدامة في «المغني»: وهو شذوذ لا يعول عليه؛ لأن لفظ الأربعة اسم لعدد المذكورين، ويقتضي أن يكتفى فيه بأربعة، ولا خلاف أن الأربعة إذا كان بعضهم نساء لا يكتفى بهم، وأن أقل ما يجزئ خمسة، وهذا خلاف النص؛ ولأن في شهادتهن شبهة لتطرق الضلال إليهن، قال الله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والحدود تدرأ بالشبهات.

٩٩ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢].

أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حُرِّمت على ابنه وإن لم يمسها الأب.

١٠٠ **قوله تعالى**: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

اعلم أولاً أن لفظ المحصنات أطلق في القرآن ثلاثة إطلاقات:

الأول: المحصنات العفائف، ومنه قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: ٢٥].

أي: عفائف غير زانيات.

الثاني: المحصنات الحرائر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد.

الثالث: أن يراد بالإحصان التزوج، ومنه على التحقيق قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ الآية [النساء: ٢٥]؛ أي: فإذا تزوجن.

١٠١ اجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

١٠٢ **قوله تعالى**: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢].

يتمنون أن يستووا بالأرض، فيكونوا تراباً مثلها على أظهر الأقوال.

١٠٣ **قوله تعالى**: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

١٠٤ ظل الجنة ظليل: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

دائم: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد: ٣٥].

ممدود: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وظلال متعددة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [المرسلات: ٤١].

١٠٥ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد علم من قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أنه عند عدم النزاع يُعمل بالمتفق عليه وهو الإجماع قاله الألوسي.

١٠٦ **قوله تعالى:** ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ يُفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل ثواب المجاهد.

١٠٧ القضاء في الكتاب والسُّنَّة يطلق على فعل العبادة في وقتها؛ كقوله جل جلاله:

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٠٠]؛ فالقضاء في هذه الآيات بمعنى: الأداء.

١٠٨ الذي يظهر لي والله تعالى أعلم في مسألة التوكيل على الخصام والمحاكمة: أن الصواب فيها التفصيل. فإن كان الموكل ممن عرف بالظلم والجبروت والادعاء بالباطل فلا يقبل منه التوكيل لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]. وإن

كان معروفاً بغير ذلك فلا مانع من توكيله على الخصومة، والعلم عند الله تعالى.

١٠٩ قوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها ويشهد له ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

١١٠ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإذا حققت أن دعوة الرسل واحدة عرفت أن من كذب واحداً منهم فقد كذب جميعهم. ولذا صرح تعالى بأن من كفر ببعضهم فهو كافر حقّاً.

١١١ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية «النساء» هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب. ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض.

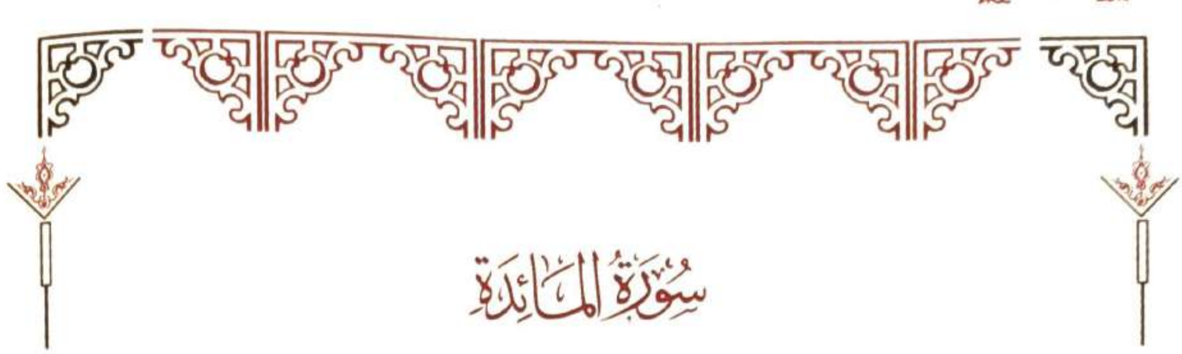
١١٢ وقد صرح بأن القرآن نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك، كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

١١٣ قوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦].

بيَّن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لئلا يضلوا، فمن سوَّى بينهما فيه فهو ضال قطعاً.

فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث وإن أدليا بسبب واحد؛ لأن الرجل مترقب للنقص دائماً بالإنفاق على نسائه، وبذل المهور لهن، والبذل في نوائب الدهر، والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر، وإنفاقه عليها وقيامه بشؤونها، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر بعض نقصه المترقب، حكمته ظاهرة واضحة، لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي. ولذا قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: ١١].





سورة المائدة

١١٤ فإن كل شيء كان جائزاً ثم حرم لموجب ثم أمر به بعد زوال ذلك الموجب فإن ذلك الأمر كله في القرآن للجواز كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

١١٥ الإنسان عليه أن يعامل من عصى الله فيه، بأن يطيع الله فيه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

١١٦ **قوله تعالى:** ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣].

المخمصة: الجوع.

١١٧ السُّنَّة تخصص عموم القرآن.. مثاله: قوله ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدمان: فالكبد والطحال**» فخص بهذا الحديث عموم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣].

١١٨ **قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

إنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب؛

لأن الرأس يمسح بين المغسولات، ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب في أعضاء الوضوء حسبما جاء في الآية الكريمة.

١١٩ حذف الإرادة، واقع في القرآن: كقوله جَلَّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: أردتم القيام إليها، وقوله جَلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: أردت قراءته فاستعذ بالله.

١٢٠ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فانظر ما في هذه الآية من مكارم الأخلاق والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيعه فيه.

١٢١ اليهود أهل خيانة إلا القليل منهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

١٢٢ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢].

قال ابن عباس: من حَرَّم قتلها إلا بحق حَيِيَ الناس منه جميعاً.

١٢٣ **قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

الوسيلة: التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به النبي ﷺ.

١٢٤ تقرر في الأصول في مبحث النص الظاهر من مسالك العلة: أن الفاء في الكتاب، والسُّنَّة تفيد التعليل ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]؛ أي: لعلة سرقتهما.

١٢٥ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

الحكمة من قطع يد السارق: قال المازري: صان الله الأموال بإيجاب قطع سارقها، وخص السرقة لقلة ما عداها بالنسبة إليها، من الانتهاب والغصب، ولسهولة إقامة البينة على ما عدا السرقة بخلافها، وشدد العقوبة فيها ليكون أبلغ في الزجر، ولم يجعل دية الجناية على العضو المقطوع منها بقدر ما يقطع فيه حماية لليد، ثم لما خانت هانت، وفي ذلك إثارة إلى الشبهة التي نسبت إلى أبي العلاء المعري في قوله:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي بقوله:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها حماية المال فافهم حكمة الباري

وشرح ذلك: أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين.

١٢٦ السُّنَّة مقيدة لمطلق القرآن.. مثاله: قطعه ﷺ يد السارق من الكوع تقييداً لمطلق قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

١٢٧ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

فكل من هزئ بشيء من الدين أو اتخذه لعباً ولهواً فإنه يخشى عليه من تناول هذه الآية إياه.

١٢٨ **قوله تعالى**: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

دلالة هذه الآية الكريمة على أن الترك فعل في غاية الوضوح.

١٢٩ **قوله تعالى**: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

أشار في هذه الآية، إلى أن الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، لو تابوا إليه من ذلك، لتاب عليهم، وغفر لهم؛ لأنه استعطفهم إلى ذلك أحسن استعطاف، وألطفه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾، ثم أشار إلى أنهم إن فعلوا ذلك غفر لهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٣٠ **قوله تعالى**: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].

الغلو الذي نهوا عنه... قول بعضهم: إن عيسى ابن الله... وقول بعضهم: هو الله... وقول بعضهم: هو إلٰه مع الله... تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

١٣١ **قوله تعالى**: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

فقد سمى ﷻ في هذه الآية الكريمة تركهم التناهي عن المنكر فعلاً.

١٣٢ **قوله تعالى**: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

مَسَائِلُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ:

* **الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى:** اعْلَمْ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْآمِرِ وَالْمَأْمُورِ يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْحَقِّ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، أَنَّهُ حِمَارٌ مِنْ حُمُرِ جَهَنَّمَ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فِيهَا.

* **الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:** يُشْتَرَطُ فِي الْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ، يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّ مَا يَنْهَى عَنْهُ مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلاً بِذَلِكَ فَقَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ، وَيَنْهَى عَمَّا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي عَمَّ فِيهِ الْجَهْلُ وَصَارَ فِيهِ الْحَقُّ مُنْكَراً، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفاً.

* **الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:** يُشْتَرَطُ فِي جَوَازِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَلَّا يُؤَدِّيَ إِلَى مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ؛ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ارْتِكَابِ أَخَفِّ الضَّرَرَيْنِ.

١٣٣ لا تقبل شهادة كافر في شيء إلا بدليل خاص كالوصية في السفر، إذا لم يوجد مسلم؛ لأن الله نص على ذلك بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].





سُورَةُ الأَنْعَامِ

١٣٤ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في قوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: الكفار.

١٣٥ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

المراد بالظلم هنا: الشرك كما ثبت عن النبي ﷺ في «صحيح البخاري» وقد بيّنه قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

١٣٦ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفاً لا يصلح للأكل، وانظروا إلى ينعه؛ أي: انظروا إليه بعد أن صار يانعاً مدركاً صالحاً للأكل، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه، قادر على كل شيء، منعم عليكم عظيم الإنعام.

١٣٧ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

أي: لست يا محمد ﷺ بموكل عليهم تهدي من شئت هدايته منهم؛ بل إنما أنت نذير فحسب، وقد بلغت ونصحت، والوكيل عليهم هو الله جَلَّ وَعَلَا.

١٣٨ التحقيق في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وما جرى مجراه من الآيات ليس منسوخاً بآية السيف والعلم عند الله - تعالى -.

١٣٩ **قوله تعالى:** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار ﴿وَعَدْلًا﴾: في الأحكام.

١٤٠ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وحذف الفاء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يدل على قسم محذوف. فهو قسم من الله ﷻ أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين.

١٤١ **قوله تعالى:** ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾؛ أي: كافراً. ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾؛ أي: بالإيمان والهدى، وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت وإرادة الكفر بلا خلاف.

١٤٢ **قوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

أي: قد استكثرتم أيها الشياطين، من إضلال الإنس.

١٤٣ قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

والمبارك كثير البركات، من خير الدنيا والآخرة.

١٤٤ أقل ما تضاعف به الحسنة عشر أمثالها ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

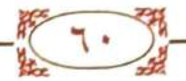
١٤٥ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

فسماهم شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى.

١٤٦ قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

أمر الله جل جلاله نبيه ﷺ أن يقول إن صلاته ونحره كلاهما خالص لله جل جلاله، ويدل لهذا قوله جل جلاله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢].







سورة الأعراف

١٤٧ قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والمراد بـ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو: القرآن والسُّنَّة المبينة له لا آراء الرجال.

١٤٨ قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٧].

أثبت جلَّ وعلا لنفسه صفة العلم، ونظيره قوله جلَّ وعلا: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهب الجهمية.

١٤٩ كل من ردَّ نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع؛ بل قد يكون الأصل رفيعاً والفرع وضيعاً، كما قال الشاعر:

إذا افتخرت بآباء لهم شرف   قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

١٥٠ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

عامل إبليس بنقيض قصده حيث كان قصده التعاظم والتكبر فأخرجه الله جلَّ وعلا صاغراً ذليلاً.

١٥١ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

المذؤوم: المعيب أو الممقوت، **والمدحور**: المبعد عن الرحمة، المطرود.

١٥٢ سبب نزول قوله ﷻ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]:

أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة، وفيه وجوب ستر العورة للطواف.

١٥٣ **قوله تعالى:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].

فقوله: ﴿ثِقَالًا﴾ جمع ثقيلة، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها.

١٥٤ **قوله تعالى:** ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

المراد بالفتح: الحُكْم؛ أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحق.

١٥٥ **قوله تعالى:** ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

أي: يختلقونه ويفترونه من الكذب، فأصل الأفك بالفتح القلب والصرف عن الشيء، ومنه قيل لقرى قوم لوط: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ [الحاقة: ٩]؛ لأن الله أفكها؛ أي: قلبها.

وأكثر استعمال هذه المادة «الأفك» في الكذب؛ لأنه صرف وقلب للأمر عن حقيقته بالكذب، والافتراء، كما قال ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

١٥٦ **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

يعني: الجدوب. وهذا معروف في اللغة؛ يقال: أصابتهم سَنَة؛ أي: جَدب.

١٥٧ الكبر - أعاذنا الله والمسلمين منه - سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله جل وعلا ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

١٥٨ أشكل على ابن عباس أمر الفرقة الساكتة التي لم ترتكب ما نهيت عنه من اليهود، هل عذبوا أو نجوا حتى بيَّن له مولاه عكرمة دخولهم في الناجين دون المعذبين، وهذا هو الحق؛ لأنه سبحانه قال عن الساكتين: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] فأخبر أنهم أنكروا فعلهم وغضبوا عليهم، وإن لم يواجهوهم بالنهي، فقد واجههم به من أدى الواجب عنهم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فلما قام به أولئك سقط عن الباقين فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم.

وأيضاً فإنه سبحانه إنما عذب الذين نسوا ما ذكروا به، وعتوا عما نهوا عنه، وهذا لا يتناول الساكتين قطعاً، فلما بيَّن عكرمة لابن عباس أنهم لم يدخلوا في الظالمين المعذبين كساه برده وفرح به.

١٥٩ **قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال القرطبي: سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى؛ لأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده وإفضاله.

ونقل القرطبي عن ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾؛ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به تقول: يا رحمان ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني، يا تواب تب علي.

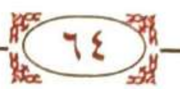
١٦٠ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

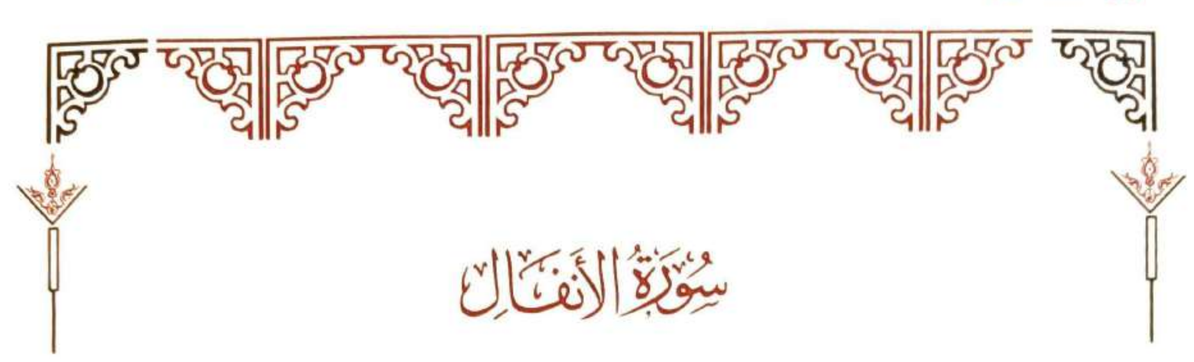
والمراد بالخير قيل: المال، ويدل على ذلك كثرة ورود الخير بمعنى المال في القرآن.

١٦١ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وتأنيث الوصف، بقوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾، مع أن الموصوف به مذكر، وهو آدم نظراً إلى تأنيث لفظ النفس.







سورة الأنفال

١٦٢ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

الوجل عند ذكر الله جل جلاله يكون بسبب خوف الزيغ عن الهدى، وعدم تقبل الأعمال، كما قال جل جلاله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

١٦٣ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

فنبيُّنا ﷺ كان هو وأصحابه إذا أصابهم أمر أو كرب التجئوا إلى الله وأخلصوا له الدعاء، فعلينا أن نتبع ولا نبتدع.

١٦٤ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١].

ألقى النعاس على المؤمنين ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها؛ لأن الخائف لا يغشاه النعاس.

١٦٥ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

أي: مضعف كيدهم، وقول زهير بن أبي سلمى:

وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت ... فأصبح الحبل منها واهناً خلقاً

١٦٦ قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

الفتح: الحكم، سألوا الله أن يحكم بينهم وبين النبي ﷺ بأن يهلك الظالم وينصر المحق فأهلكهم الله ونصره.

١٦٧ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال محمد بن إسحاق: فرقاناً؛ أي: فصلاً بين الحق والباطل.

١٦٨ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٥].

المكاء: الصفير، **والتصدية**: التصفيق.

١٦٩ الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه، قال الحق تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

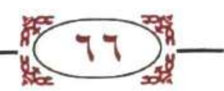
١٧٠ وقعة بدر بينة لا لبس في الحق معها ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقعة بدر فرقان فارق بين الحق والباطل ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

١٧١ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ينبغي الإكثار من ذكر الله على كل حال لا سيما وقت الضيق، والمحب الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد.

١٧٢ اختلاف القلوب أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لاستلزامه الفشل وذهاب القوة والدولة، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].



١٧٣ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين الأمر ما ساروا

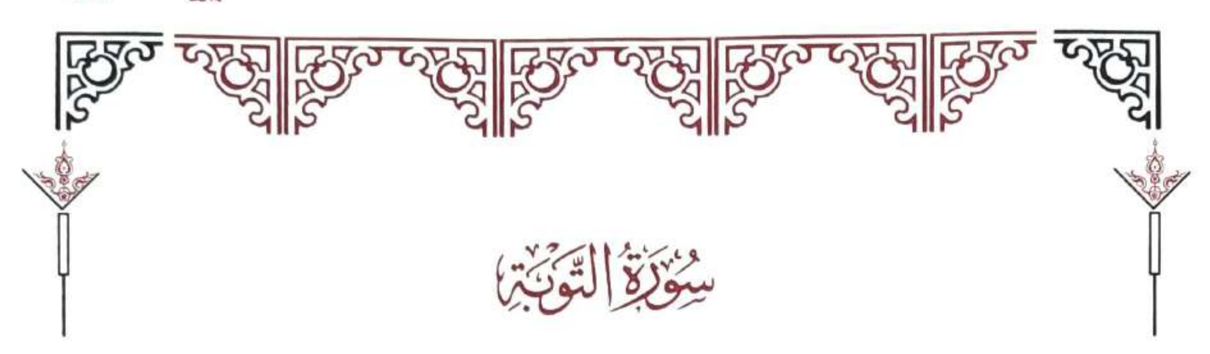
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن ولّاه غرار

١٧٤ القرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بآدابه الكريمة. قال جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت، من مسايرة التطور في الأمور الدنيوية.

١٧٥ **قوله تعالى:** ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن إلحادهم في أسمائه: أنهم اشتقوا العزى من اسم العزيز، واللات من اسم الله.





سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٧٦ أهل الكتاب داخلون في اسم المشركين، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

١٧٧ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله: أنهم لا يؤدون زكاتها.

١٧٨ ما ينتظر النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون كله خير، بعكس ما ينتظره الكفار، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

١٧٩ النسيان المثبت في قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] بمعنى: الترك، والنسيان المنفي عنه تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] هو الذي بمعنى: السهو؛ لأنه محال على الله تعالى.

١٨٠ قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩].

إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة؛ ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] إشارة إلى الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات.

١٨١ قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

دليل صريح في أن من يسب الصحابة ويبغضهم أنه ضال مضل مخالف لله جل وعلا.

١٨٢ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

نص صريح في أن الإيمان يزيد، مفهوم منها أنه ينقص أيضاً، كما استدل بها البخاري رحمه الله على ذلك.

١٨٣ النبي ﷺ أرأف بأمته من الوالد الشفيق بأولاده، وقد قال جل وعلا في رأفته ورحمته بهم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].





سورة يونس

١٨٤ **قوله تعالى:** ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

معنى **السلام**: الدعاء بالسلامة من الآفات، **والتحية**: مصدر حياك الله بمعنى: أطال حياتك.

١٨٥ **قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

لو عجل لهم الإجابة بالشر كما يعجل لهم الإجابة بالخير لقضي إليهم أجلهم؛ أي: لهلكوا.

١٨٦ لا يصح نسخ حكم شرعي إلا بوحي من كتاب أو سُنَّة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [يونس: ١٥].

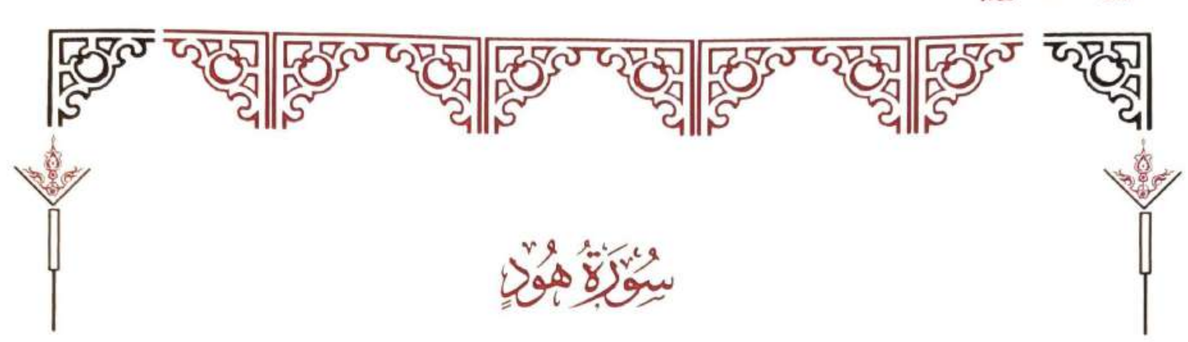
١٨٧ **قوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الحسنى: الجنة، **والزيادة**: النظر إلى وجه الله الكريم. اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة والنظر إلى وجهك الكريم.. آمين.

١٨٨ **قوله تعالى:** ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١].

الإيمان عند معاينة العذاب لا يُقبل.





سُورَةُ هُودٍ

١٨٩ **قوله تعالى:** ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: ١، ٢].

هذه الآية فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يُعبد الله ﷻ وحده ولا يشرك به.

١٩٠ **قوله تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣].

المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا؛ فالاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب سبب؛ لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً.

١٩١ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [هود: ٣٧].

لأن الظالمين ليسوا من الأهل بالنسبة للدين؛ لأن الدين يربط البعيدين، والظلم الذي هو بمعنى الكفر يفرق القريبين.

١٩٢ **قوله تعالى:** ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

يؤخذ من قصة إبراهيم مع ضيفه هؤلاء أشياء من آداب الضيافة:

- منها: تعجيل القرى؛ لقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

- ومنها: كون القرى من أحسن ما عنده؛ لأنهم ذكروا أن الذي عنده البقر وأطيبه لحماً الفتي السمين المنصح.

- ومنها: تقريب الطعام إلى الضيف.

- ومنها: ملاطفته بالكلام بغاية الرفق؛ كقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧].

١٩٣ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

كيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير وعنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب، فدل أن الذبيح إسماعيل.

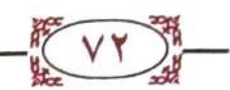
١٩٤ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله، ويعزه بنصرة قريبه الكافر.

١٩٥ الغنى بالفتح والقصر: الإقامة من قولهم: غني بالمكان بكسر النون يغنَى بفتحها غنًى بفتحتين إذا أقام به، قال ﷻ: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾ [هود: ٩٥]: كأنهم لم يقيموا فيها.

١٩٦ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

القائم: هو الذي لم يتهدم؛ **الحصيد:** هو الذي تهدم وتفرقت أنقاضه.



١٩٧ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

قيَّد تعالى خلود أهل الجنة وأهل النار بالمشيئة، فقال في كلٍّ منهما: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، ثم بيَّن عدم الانقطاع في كلٍّ منهما، فقال في خلود أهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال في خلود أهل النار: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ومعلوم أن كلما تقتضي التكرار بتكرر الفعل الذي بعدها.






سورة يوسف

١٩٨ **قوله تعالى:** ﴿الٓر﴾ [يوسف: ١].

السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب هذه الحروف الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وهذه شهادة استقراء القرآن لهذا القول، والحروف المقطعة ذكرت بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

١٩٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

ليس مرادهم الضلال في الدين وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به.

٢٠٠ وقرأ نافع: ﴿غَيَابَاتِ الجُبّ﴾ [يوسف: ١٠].

بصيغة الجمع، والجمع في قراءة نافع نظراً إلى تعدد أجزاء قعر الجب التي تغيب الداخل فيها عن العيان.

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] بالإفراد وكل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيابة.

٢٠١ **قوله تعالى:** ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

أي: لولا أن رآه همَّ بها، فما قبل لولا هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة.

ونظير ذلك قوله جَلَّ وعلا: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] فما قبل لولا دليل الجواب؛ أي: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

٢٠٢ قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه همَّ أصلاً؛ بل هو منفي عنه لوجود البرهان.

٢٠٣ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أن يوسف عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام همَّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همت هي به منه، ولكن القرآن العظيم بيَّن براءته عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيما لا ينبغي حيث بيَّن شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به.

أما الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود.

أما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]

وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقولها: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٨، ٢٩].

وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦].

وأما شهادة الله جل وعلا ببراءته ففي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

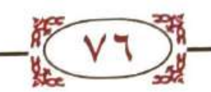
وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ولا شك أن يوسف من المخلصين، كما صرح تعالى به في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته مما لا ينبغي.

٢٠٤ قوله تعالى في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وقوله تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].. يدل على أن كيدهن أعظم من كيده.

٢٠٥ دلَّت آية من كتاب الله على إطلاق شر مكاناً، والمراد: اتصاف الشخص بالشر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾ [يوسف: ٧٧]، إلا أن يراد بذلك المكان المعنوي؛ أي: أنتم شر منزلة عند الله جل جلاله.



٢٠٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال أبو حيان في «البحر المحيط»: وروح الله: رحمته وفرجه وتنفيسه.

٢٠٧ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

دليل على صحة نبوة نبيّنا ﷺ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه ﷺ لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به، وجعله في غيابة الجب، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

٢٠٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته.





سُورَةُ الرَّعْدِ

٢٠٩ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

قال ابن كثير: ترونها تأكيداً لنفي ذلك؛ أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة.

٢١٠ قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: ٦].

بالسيئة: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة؛ أي: قبل العافية والإيمان، **والمثلات:** العقوبات.

٢١١ قوله تعالى: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۢ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

المستخفي: هو المختفي المستتر عن الأعين، **والسارب:** هو الظاهر البارز.

٢١٢ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [الرعد: ١٢].

قال قتادة: خوفاً للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله.



٢١٣ من إطلاق «قدر» بمعنى «ضيق» في القرآن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: ٢٦]؛ أي: ويضيق الرزق على من يشاء.

٢١٤ **قوله تعالى:** ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد وصدق ما جاء به محمد ﷺ فطمأنينتهم بذلك قوية؛ لأنها لم تتطرقها الشكوك ولا الشبه.

٢١٥ **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: ٤١].

ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام.

٢١٦ **قوله تعالى:** ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ عطف على لفظ الجلالة وأن المراد به: أهل العلم بالتوراة والإنجيل.





سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

٢١٧ قوله تعالى: ﴿الٓر﴾ [إبراهيم: ١].

الحروف المقطعة ذكرت بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

٢١٨ كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها: أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٢١٩ قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦].

وراء بمعنى: أمام ويدل له إطلاق وراء بمعنى أمام في القرآن؛ فمنه قوله جل وعلا: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامهم ملك.

٢٢٠ أعمال الكفار كصلات الأرحام ونحوها يبطلها الكفر؛ كما تطير تلك الريح ذلك الرماد ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٨].

٢٢١ أشار تعالى إلى فتنة القبر وعذابه في قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٢٢٢ **قوله تعالى:** ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

يدل على أنه كان مبنيّاً واندرس، ويدل عليه قوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] أن له مكاناً سابقاً معروفاً.





سُورَةُ الحِجْرِ

٢٢٣ **قوله تعالى:** ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

فإن قيل: رُبَما لا تدخل إلا على الماضي، فما وجه دخولها على المضارع في هذا الموضع؟ فالجواب: أن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه؛ كالواقع بالفعل.

٢٢٤ تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

٢٢٥ القرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكن تضييعه؛ بل تولى حفظه بنفسه الكريمة المقدسة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢٢٦ **قوله تعالى:** ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

قال ابن كثير: أي: تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتنفتح عن أوراقها وأكمامها.

٢٢٧ جواز الاستثناء من الاستثناء في هذه الآية الكريمة دليل

واضح لما حققه علماء الأصول من جواز الاستثناء من الاستثناء؛ لأنه تعالى استثنى آل لوط من إهلاك المجرمين بقوله:

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩]، ثم استثنى من هذا الاستثناء امرأة لوط بقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر: ٦٠].

٢٢٨ قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢].

أقسم بحياتك، والله ﷻ له أن يقسم بما شاء من خلقه، ولم يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبيّنا ﷺ وفي ذلك من التشريف له ﷺ ما لا يخفى. ولا يجوز لمخلوق أن يحلف بغير الله، لقوله ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**».

٢٢٩ قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٤ ـ ٧٦].

أي: أن ديار قوم لوط بطريق مقيم، يمرون فيه عليها في سفرهم إلى الشام.

٢٣٠ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

التوسم العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها، قال الشاعر:

توسمته لما رأيت مهابة   عليه وقلت المرء من آل هاشم

هذا أصل التوسم، وللعلماء فيه أقوال متقاربة يرجع معناها كلها إلى شيء واحد.

٢٣١ قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يصفح عمن أساء، **الصفح الجميل**: أي: بالحلم والإغضاء، وقال علي وابن عباس: ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: الرضا بغير عتاب.

٢٣٢ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

قال ﷺ: «**الحمد لله ربِّ العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**» [البخاري]

قيل لها: «**مثاني**»؛ لأنها تثنى قراءتها في الصلاة.

وقيل لها: «**سبع**»؛ لأنها سبع آيات.

وقيل لها: «**وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**»؛ لأنها هي أعظم سورة.

٢٣٣ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني، مع أن المراد بهما واحد وهو الفاتحة؛ لما علم في اللغة العربية: من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى، تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، ومنه قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٤]، وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

٢٣٤ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

الله تعالى نهى نبيّه ﷺ عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام. ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم.

٢٣٥ قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨].

الكمال يكون بأمرين:

١ ـ التنزه عما لا يليق، وهذا معنى التسبيح.

٢ ـ التحلي بالفضائل والاتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد.

٢٣٦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨].

الصلاة والتسبيح سبب لزوال ضيق الصدر. ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة.





سورة النحل

٢٣٧ قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١].

عبَّر بالماضي تنزيلاً لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل.

٢٣٨ قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النحل: ٥].

والدفء ما يتدفئون به في الثياب المصنوعة من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها وأصوافها.

٢٣٩ قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها وشوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية؛ كالسيارات.

٢٤٠ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله؛ أي: موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته.

٢٤١ قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ [النحل: ٩].

أي: ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله؛ بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه.

٢٤٢ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

أي: ترعون مواشيكم، والعرب تقول: سامت المواشي؛ إذا رعت في المرعى الذي ينبته الله بالمطر.

٢٤٣ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وذلك واضح جدّاً في أن من يخلق غيره هو المعبود، وأن من لا يخلق شيئاً لا يصح أن يعبد.

٢٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»؛ لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جلّ وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه.

٢٤٥ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

بلى: تدل على نفي قولهم: لا يبعث الله من يموت ونفي هذا النفي إثبات، معناه: لتبعثن.

٢٤٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وعبَّر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشيء؛ لأن تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل؛ لأنه لما سبق في علم الله أنه يوجد ذلك الشيء وأنه يقول له كن فيكون كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه.

٢٤٧ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٣].

يفهم من هذه الآية: أن الله لم يرسل امرأة قط.

٢٤٨ يفهم من قوله جل وعلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]: أن من جهل الحكم: يجب عليه سؤال العلماء والعمل بما أفتوه به.

٢٤٩ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢].

الدين هنا: الطاعة، ومنه قول الشاعر:

وأيــام لــنــا غــر كــرام عصينا الملك فيها أن ندينا

أي: عصيناه وامتنعنا أن ندين له؛ أي: نطيعه. **واصباً**: دائماً؛ أي: له الطاعة والذل والخضوع دائماً؛ لأنه لا يضعف سلطانه، ولا يعزل عن سلطانه، ولا يموت ولا يغلب، ولا يتغير له حال.

٢٥٠ قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

﴿تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة عند نزول الشدائد.

٢٥١ قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥].

صيغة الأمر في قوله جل وعلا: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ للتهديد.

٢٥٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

كظيم؛ أي: ممتلئ حزناً وهو ساكت، وقيل: ممتلئ غيظاً على امرأته التي ولدت له الأنثى؛ لأن شدة الحزن والكآبة تسود لون الوجه.

والبشارة: تطلق في العربية على الخبر بما يسر، وبما يسوء. ومن إطلاقها على الخبر بما يسوء قوله جل وعلا هنا: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾.

٢٥٣ قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

أي: متروكون منسيون في النار. ويشهد لهذا قوله جل وعلا: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

٢٥٤ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦].

بيَّن في هذه الآية الكريمة: أن في الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها، وأخلص لبنها من بين فرث ودم؛ بأنه هو وحده المستحق؛ لأن يعبد، ويطاع ولا يعصى.

٢٥٥ الأنعام يصح تذكيرها وتأنيثها؛ لأنه ذكرها هنا في قوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦]، وأنثها في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] في قوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [المؤمنون: ٢١]، ومعلوم في العربية: أن أسماء الأجناس يجوز

فيها التذكير نظراً إلى اللفظ، والتأنيث نظراً إلى معنى الجماعة الداخلة تحت اسم الجنس. وقد جاء في القرآن تذكير الأنعام وتأنيثها كما ذكرناه آنفاً. وجاء فيه تذكير النخل وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢١]، والتأنيث في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ونحو ذلك. وجاء في القرآن تذكير السماء وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، والتأنيث في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ونحو ذلك من الآيات. وهذا معروف في العربية.

٢٥٦ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

الإيحاء: الإلهام. والعرب تطلق الإيحاء على الإعلام بالشيء في خفية، ولذا تطلقه على الإشارة، وعلى الكتابة، وعلى الإلهام.

٢٥٧ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

أظهر التفسيرات في هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب فيها مثلاً للكفار، بأنه فضَّل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم أن يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده؛ أي: إذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم: فكيف تشركون عبيدي معي في سلطاني؟!

٢٥٨ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

هذه الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل: لا يكون أحد أفضل من أحد في الرزق.

٢٥٩ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

نهى الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية خلقه أن يضربوا له الأمثال؛ أي: يجعلوا له أشباهاً ونظراء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علوّاً كبيراً.

٢٦٠ كما أن الإيمان يزيد بالطاعة، والمؤمن يثاب على إيمانه وعلى طاعته، فكذلك الكفر يزداد بالمعاصي. ويجازى الكافر على كفره وعلى عصيانه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] فعذاب على الكفر وعذاب على الإفساد.

٢٦١ قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فقيّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح.

٢٦٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١].

لا خلاف بين المسلمين في جواز النسخ عقلاً وشرعاً، ولا في وقوعه فعلاً.

والدليل على أن قوله: ﴿بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ معناه:

نسخنا آية وأنسيناها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

٢٦٣ قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢].

أطلق اسم اللباس على ما أصابهم من الجوع والخوف؛ لأن آثار الجوع والخوف تظهر على أبدانهم، وتحيط بها كاللباس.

٢٦٤ قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل، وألا يقابل نعم الله بالكفر والطغيان؛ لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة.

٢٦٥ عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة لا يفلح يراد بها الكافر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

٢٦٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿أُمَّةً﴾: أي: إمام مقتدى به، يعلم الناس الخير، كما قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

٢٦٧ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢].

قال بعض العلماء: الحسنة التي آتاه الله في الدنيا: الذرية الطيبة، والثناء الحسن.

٢٦٨ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

والملة: الشريعة. **والحنيف**: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق.



سُورَةُ الإِسْرَاءِ

٢٦٩ سورة الإسراء تسمى أيضاً: سورة بني إسرائيل.

٢٧٠ قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء: ١].

والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.

٢٧١ قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

ظاهر القرآن يدل على أن الإسراء بروحه وجسده يقظة لا مناماً؛ لأنه قال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد.

٢٧٢ قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

والتعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلّها.

٢٧٣ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]:

أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار.

٢٧٤ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

كان نوح عليه السلام يحمد الله على طعامه وشرابه، ولباسه وشأنه كله. فسماه الله عبداً شكوراً.

٢٧٥ اللام تأتي بمعنى: «على»؛ كقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها، وقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩]؛ أي: على الأذقان.

٢٧٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة.

٢٧٧ قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

أي: ومن عجلته دعاؤه على نفسه أو ولده بالشر.

٢٧٨ قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

جعل الليل مظلماً مناسباً للهدوء والراحة، والنهار مضيئاً مناسباً للحركة والاشتغال بالمعاش في الدنيا.

٢٧٩ قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

ذلك العمل الذي ألزم الإنسان إياه يخرجه له يوم القيامة في كتاب يلقاه منشوراً؛ أي: مفتوحاً يقرؤه هو وغيره.

٢٨٠ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

يعني: أن نفسه تعلم أنه لم يظلم، ولم يكتب عليه إلا ما عمل؛ لأنه في ذلك الوقت يتذكر كل ما عمل في الدنيا من أول عمره إلى آخره، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

٢٨١ لا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهاماً، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤] والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جدّاً، وقد بيّنّا طرفاً من ذلك في سورة «بني إسرائيل» في الكلام على قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، زندقة، وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره.

٢٨٢ **قوله تعالى:** ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾ [الإسراء: ١٧].

في الآية تهديداً لكفار مكة، وتخويفاً لهم من أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها. و﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾ يدل على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام.

٢٨٣ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

المعنى: أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به: ﴿فَفَسَقُوا۟﴾؛ أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم.

٢٨٤ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وفي الآية الدليل على أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة؛ لأنه شرط في ذلك قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٢٨٥ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

أي: عمل لها عملها الذي تنال به، وهو امتثال أمر الله، واجتناب نهيه بإخلاص على الوجه المشروع: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: موحد لله ﷻ، غير مشرك به ولا كافر به، فإن الله يشكر سعيه، بأن يثيبه الثواب الجزيل عن عمله القليل.

٢٨٦ من الآيات الدالة دلالة واضحة على أنه ﷺ يوجه إليه الخطاب، والمراد بذلك التشريع لأمته لا نفس خطابه هو ﷺ قوله جل وعلا: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ لأن معنى قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ الآية؛ أي: إن يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما أف، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل، فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره ﷺ، ومن أساليب اللغة العربية خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره، ومن الأمثلة السائرة في ذلك قول الراجز، وهو سهل بن مالك الفزاري:

«إياك أعني واسمعي يا جاره...».

٢٨٧ **قوله تعالى**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وذكره جل وعلا في هذه الآية بر الوالدين مقروناً بتوحيده جل وعلا في عبادته، يدل على شدة تأكد وجوب بر الوالدين.

٢٨٨ **قوله تعالى**: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فإنه لا يشك عاقل في أن النهي عن التأفف المنطوق به يدل على النهي عن الضرب المسكوت عنه؛ فالضرب المسكوت عنه أولى بالحكم الذي هو التحريم من التأفيف المنطوق به مع القطع بنفي الفارق.

٢٨٩ **قوله تعالى**: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤].

كناية عن لين الجانب لهما، والتواضع لهما كما قال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

٢٩٠ **قوله تعالى:** ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

وهذا تعليم عظيم من الله لنبيِّه لمكارم الأخلاق، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء؛ لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح.

٢٩١ المنع في محل الإعطاء مذموم، وقد نهى الله عنه نبيّه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

والإعطاء في محل المنع مذموم أيضاً، وقد نهى الله عنه نبيّه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٢٩٢ **قوله تعالى:** ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

أي: يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له، ويقدر: أي: يضيق الرزق على من يشاء تضييقه عليه.

٢٩٣ واقعة غريبة تتعلق بهذه الآية الكريمة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وهي أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استنبط من هذه الآية الكريمة التي نحن بصددها أيام النزاع بين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه ـ أن السلطنة والملك سيكونان لمعاوية؛ لأنه من أولياء عثمان رضي الله عنه وهو مقتول ظلما، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، وكان الأمر كما قال ابن عباس.

٢٩٤ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة منع التقليد، قالوا: لأنه اتباع غير العلم.

وقد نهى ﷻ في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت، ولم ير. وسمعت، ولم يسمع، وعلمت، ولم يعلم. ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم، وقد أشار ﷻ إلى هذا المعنى في آيات أخر؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

٢٩٥ **قوله تعالى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

المراد **بالوسيلة:** هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح.

٢٩٦ **قوله تعالى:** ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩].

بيَّن ﷻ أنه آتى ثمود الناقة في حال كونها آية مبصرة؛ أي: بينة تجعلهم يبصرون الحق واضحاً لا لبس فيه.

٢٩٧ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

التحقيق في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله ﷻ جعل ما أراه نبيّه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس؛ لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن

يكون حقاً، قالوا: كيف يصلي ببيت المقدس، ويخترق السبع الطباق، ويرى ما رأى في ليلة واحدة، ويصبح في محله بمكة؟ هذا محال، فكان هذا الأمر فتنة لهم لعدم تصديقهم به، واعتقادهم أنه لا يمكن.

٢٩٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سبباً لتكذيب قريش؛ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار.

٢٩٩ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

صيغ الأمر في قوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ﴾، وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾، إنما هي للتهديد؛ أي: افعل ذلك فسترى عاقبته الوخيمة. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قال مجاهد: هو اللهو والغناء والمزامير.

٣٠٠ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

عن قتادة ومجاهد: المراد بـ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيّهم، قال بعض السلف: وفي هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي ﷺ.

٣٠١ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

المراد بالعمى في هذه الآية الكريمة: عمى القلب لا عمى

العين، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ لأن عمى العين مع إبصار القلب لا يضر، بخلاف العكس؛ فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس ١ ـ ٤].

٣٠٢ قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

أي: لزوالها فيتناول وقت الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ظلامه وذلك يشمل وقت المغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح.

٣٠٣ صيغ الأمر في اللغة العربية أربع: وهي فعل الأمر؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]؛ واسم فعل الأمر؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر؛ كقوله جل وعلا ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]؛ والمصدر النائب عن فعله؛ كقوله جل وعلا: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]؛ أي: فاضربوا رقابهم.

٣٠٤ قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وعبَّر عنها بالقرآن بِمعنى: القراءة؛ لأنها ركن فِيهَا من التَّعْبِيرِ عَنِ الشَّيْءِ بِاسْمِ بَعْضِه.

٣٠٥ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

بيَّن جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية: أن الإسلام جاء ثابتاً راسخاً، وأن الشرك بالله زهق: أي: ذهب واضمحل وزال.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: وفي هذه الآية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الأوثان إذا غلب عليهم، ويدخل بالمعنى كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح إلا لمعصية الله كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها إلا اللهو بها عن ذكر الله.

وقال صاحب «الدر المنثور» في الكلام على هذه الآية الكريمة: أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

٣٠٦ قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

يشمل كونه شفاء للقلب من أمراضه: كالشك والنفاق وغير ذلك وكونه شفاء للأجسام إذا رقي عليها به.

٣٠٧ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فمن يدعي أن للنار خبوة نهائية وفناء رد عليه بهذه الآية الكريمة، اللَّهُمَّ أجرنا ووالدينا والمؤمنين والمؤمنات من النار.

٣٠٨ من خَلَق الأعظم الأكبر فهو على خَلْق الأصغر قادر بلا شك

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩].

٣٠٩ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

هذه الآيات التسع، هي: ١ ـ العصا. ٢ ـ واليد. ٣ ـ والسنون. ٤ ـ والبحر. ٥ ـ والطوفان. ٦ ـ والجراد. ٧ ـ والقمل. ٨ ـ والضفادع. ٩ ـ والدم.

٣١٠ قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

بيَّن ﷻ أنه أنزل هذا القرآن بالحق: أي: متلبساً به متضمناً له: فكل ما فيه حق فأخباره صدق، وأحكامه عدل.

٣١١ قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قرأ هذا الحرف عامة القراء ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتخفيف؛ أي: بيناه وأوضحناه، وفصلناه وفرقنا به بين الحق والباطل، وقرأ بعض الصحابة: ﴿فَرَّقْنَاه﴾ بالتشديد؛ أي: أنزلناه مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

٣١٢ قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

أمر الله ﷻ عباده في هذه الآية الكريمة: أن يدعوه بما شاءوا من أسمائه، إن شاءوا قالوا: يا ألله، وإن شاءوا قالوا: يا رحمٰن، إلى غير ذلك من أسمائه ﷻ.

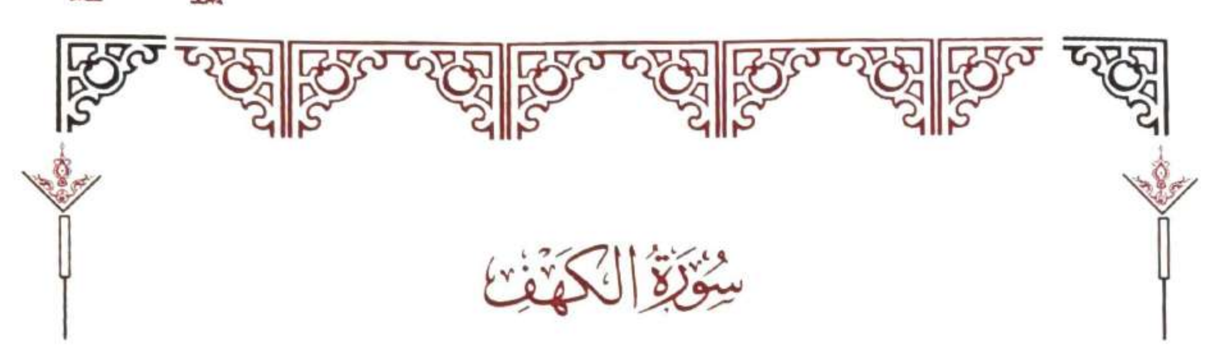
٣١٣ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

يعني: أنه لا يذل فيحتاج إلى ولي يعز به؛ لأنه هو العزيز القهار الذي كل شيء تحت قهره وقدرته؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

٣١٤ قوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

أي: عظِّمه تعظيماً شديداً ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلى كل ما يرضيه.





سُورَةُ الكَهْفِ

٣١٥ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١].

علَّم الله ﷻ عباده في أول هذه السورة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي إنزاله على نبيِّنا ﷺ هذا القرآن.

٣١٦ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١].

﴿عِوَجَا ۜ﴾: نكرة في سياق النفي، فهي تعم نفي جميع أنواع العوج. لا اعوجاج فيه البته لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، أخباره كلها صدق وأحكامه عدل.

٣١٧ قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١، ٢].

٣١٨ قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢].

والإنذار: الإعلام المقترن بتخويف وتهديد؛ فكل إنذار إعلام وليس كل إعلام إنذاراً.

٣١٩ قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

﴿قَيِّمًا﴾؛ أَيْ: مُسْتَقِيماً لا مَيْلَ فِيهِ ولا زَيْغَ.

٣٢٠ **قوله تعالى:** ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

والباخع: المهلك: أي: مهلك نفسك من شدة الأسف على عدم إيمانهم.

٣٢١ **قوله تعالى:** ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

أي: أرضاً بيضاء لا نبات بها.

٣٢٢ **قوله تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

إن قصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئاً عجباً بالنسبة إلى قدرتنا وإلى ما خلقنا مما هو أعظم منها.

٣٢٣ **قوله تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩].

الرقيم معناه: المرقوم، فهو «فعيل» بمعنى «مفعول» من: رقمت الكتاب: إذا كتبته، ومنه قوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩].

٣٢٤ **قوله تعالى:** ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ويدل لفظ الفتية على قلَّتهم وأنهم شباب لا شيب.

٣٢٥ **قوله تعالى:** ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

التهيئة: التقريب والتيسير؛ أي: يسر لنا وقرب لنا من أمرنا رشداً، **والرشد**: الاهتداء والديمومة عليه.

٣٢٦ أصحاف الكهف دعوا ربهم هذا الدعاء العظيم الشامل لكل خير ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

٣٢٧ **قوله تعالى:** ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١].

قال أبو حيان: وذكر الجارحة التي هي الآذان؛ لأنه لا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع وفي الحديث: «**ذلك رجل بال الشيطان في أذنه**».

٣٢٨ من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى لأن الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

٣٢٩ من كان في طاعة ربه جَلَّ جَلَالُهُ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ يقوي قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد، والصبر الجميل ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤].

٣٣٠ **قوله تعالى:** ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن من أشرك مع

خالق السمٰوات والأرض معبوداً آخر، فقد جاء بأمر شطط بعيد عن الحق والصواب في غاية الجور والتعدي؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الذي يبرز الخلائق من العدم إلى الوجود؛ لأن الذي لا يقدر على خلق غيره مخلوق يحتاج إلى خالق يخلقه ويرزقه ويدبر شؤونه.

٣٣١ قوله تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

والشطط: البعد عن الحق والصواب وإليه ترجع أقوال المفسرين: (جوراً، تعدياً، كذباً، خطأً) إلى غير ذلك من الأقوال.

٣٣٢ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له شريكاً، كما افتراه عليه قوم أصحاب الكهف.

٣٣٣ قوله تعالى: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ﴾ [الكهف: ١٥].

﴿لَّوْلَا﴾ في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو الطلب بحث وشدة، والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بيِّن على جواز عبادة غير الله، والمراد بالسلطان البيِّن: الحجة الواضحة.

٣٣٤ اعتزال المؤمن قومه الكفار ومعبوديهم من أسباب لطف الله به ورحمته ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الكهف: ١٦].

٣٣٥ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف: ١٧].

أي: ترى أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل على كهفهم، والمعنى: أنك لو رأيتهم لرأيتهم كذلك، لا أن المخاطب رآهم بالفعل.

٣٣٦ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧].

وأصل مادة التزاور: الميل، فمعنى «تزاور»: تميل. **والزور**: الميل، ومنه شهادة الزور؛ لأنها ميل عن الحق. ومنه الزيارة؛ لأن الزائر يميل إلى المزور، ومن هذا المعنى قول عنترة في معلقته:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

٣٣٧ قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ويؤخذ من هذه الآية وأمثالها في القرآن: بطلان مذهب القدرية، أن العبد مستقل بعمله من خير أو شر، وأن ذلك ليس بمشيئة الله بل بمشيئة العبد، سبحانه ﷻ عن أن يقع في ملكه شيء بدون مشيئته! وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً!

٣٣٨ قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة قال ابن كثير: وهذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن.

٣٣٩ قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

سبب ظن الرائي أنهم أيقاظ هو أنهم نيام وعيونهم مفتحة وقيل: لكثرة تقلبهم لقوله ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

٣٤٠ قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

اختلفت عبارات المفسرين في المراد بـ«الوصيد»، والذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]؛ أي: مغلقة مطبقة، وذلك بإغلاق كل وصيد أو أصيد، وهو الباب. ونظير الآية من كلام العرب قول الشاعر:

تحن إلى أجبال مكة ناقتي ... ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

٣٤١ قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

والورق: الفضة، وأخذ علماء المالكية وغيرهم من هذه الآية الكريمة: جواز الوكالة وصحتها.

وكذلك أخذ بعض علماء المالكية من هذه الآية جواز الشركة؛ لأنهم كانوا مشتركين في الورق التي أرسلوها ليشتري لهم طعاماً بها.

٣٤٢ قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩].

﴿أَزْكَىٰ﴾ أطيب لكونه حلالاً ليس مما فيه حرام ولا شبهة يدل له القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي: حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سُنَّة، والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية: «أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية».

٣٤٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

مسألة: أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة؛ لأن قوله عن أصحاب الكهف: ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٠]، ظاهر في إكراههم على ذلك وعدم طواعيتهم، ومع هذا قال عنهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾، فدل ذلك على أن ذلك الإكراه ليس بعذر.

٣٤٤ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢].

أخبر ﷻ في هذه الآية الكريمة عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف، فذكر ثلاثة أقوال على أنه لا قائل برابع، وجاء في الآية الكريمة بقرينة تدل على أن القول الثالث هو الصحيح والأولان باطلان؛ لأنه لما ذكر القولين الأولين بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية [٢٢]، أتبع ذلك بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: قولاً بلا علم، ثم حكى القول الثالث بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فأقره، ولم يذكر بعده أن ذلك رجم بالغيب، فدل على أنه الصحيح.

٣٤٥ قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢].

قال القرطبي: الرجم: القول بالظن يقال لكل ما يخرص: رجم فيه، كما قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

٣٤٦ قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢].

* فيه تعليم للناس أن يردوا علم الأشياء إلى خالقها ﷻ وإن علموا بها.

* قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل الذي يعلمهم، كانوا سبعة.

٣٤٧ وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم، فيقول بعضهم: اسمه قطمير، ويقول بعضهم: اسمه حمران، إلى غير ذلك لم نطل به الكلام لعدم فائدته. ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبيِّنها الله لنا ولا رسوله، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه. واعلم أن ذكره ﷻ في كتابه هذا الكلب، في معرض التنويه بشأنهم، يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة.

٣٤٨ واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها.

٣٤٩ من المعلوم أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له **ثلاث حالات:**

١ ـ في واحدة منها يجب تصديقه، وهي ما إذا دل الكتاب أو السُّنَّة الثابتة على صدقه.

٢ ـ وفي واحدة يجب تكذيبه، وهي ما إذا دل القرآن أو السُّنَّة أيضاً على كذبه.

٣ ـ وفي الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق، كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]» (صحيح البخاري: حديث رقم ٤٤٨٥).

وهي ما إذا لم يثبت في كتاب ولا سُنَّة لا تصدقه ولا تكذبه، وبهذا التحقيق تعلم أن القصص المخالفة للقرآن والسُّنَّة الصحيحة التي توجه بأيدي بعضهم، زاعمين أنها في الكتب المنزلة يجب تكذيبهم فيها لمخالفتها نصوص الوحي الصحيح، التي لم تحرف ولم تبدل، والعلم عند الله تعالى.

٣٥٠ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣].

﴿غَدًا﴾: ما يستقبل من الزمان لا خصوص الغد، ومنه قول زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

٣٥١ قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

إن قلت سأفعل غداً كذا ونسيت أن تقول إن شاء الله، ثم تذكرت بعد ذلك فقل إن شاء الله.

مسألة: والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه، وأن الاستثناء المتأخر لا أثر له ولا تحل به اليمين.

٣٥٢ قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

يحكى عن المنصور أنه بلغه أن أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخالف مذهب ابن عباس المذكور؛ فاستحضره لينكر عليه ذلك، فقال الإمام أبو حنيفة للمنصور: هذا يرجع عليك! إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك!؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه.

٣٥٣ مسألة: فيما نسب إلى ابن عباس في صحة الاستثناء المتأخر في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

فإن قيل: فما الجواب الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيما نسب إليه من القول بصحة الاستثناء المتأخر؟

فالجواب: أن مراد ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الله عاتب نبيّه على قوله إنه سيفعل كذا غداً، ولم يقل إن شاء الله، وبيَّن له أن التعليق بمشيئة الله هو الذي ينبغي أن يفعل؛ لأنه تعالى لا يقع شيء إلا بمشيئته، فإذا نسي التعليق بالمشيئة ثم تذكر ولو بعد طول فإنه يقول إن شاء الله، ليخرج بذلك من عهدة عدم التعليق بالمشيئة، ويكون قد فوض الأمر إلى من لا يقع إلا بمشيئته، فنتيجة هذا الاستثناء: هي الخروج من عهدة تركة الموجب للعتاب السابق، لا أنه يحل اليمين؛ لأن تداركها قد فات بالانفصال، هذا هو مراد ابن عباس كما جزم به الطبري وغيره، وهذا لا محذور فيه ولا إشكال.

٣٥٤ رد العلم إلى الله لا ينافي العلم بدليل أن لله أعلم نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمدة لبثهم في قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٥]، ثم أمره برد العلم إليه جَلَّ وَعَلَا في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الكهف: ٢٦].

٣٥٥ قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

ثلاثمائة سنة بحساب السَّنة الشمسية، وثلاثمائة سنة وتسع سنين بحساب السَّنة القمرية.

٣٥٦ قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

أي: ما أبصره وما أسمعه ﷻ وما ذكره في هذه الآية من اتصافه ﷻ بالسمع والبصر ذكره أيضاً في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

٣٥٧ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

الحكم له وحده ﷻ، لا حكم لغيره ألبتة؛ فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه.

٣٥٨ قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧].

والأمر في قوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ شامل للتلاوة بمعنى: القراءة، والتلو: بمعنى الاتباع.

٣٥٩ قوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

لأن أخبارها صدق، وأحكامها عدل، فلا يقدر أحد أن يبدل صدقها كذباً، ولا أن يبدل عدلها جوراً.

٣٦٠ قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

يخبر ﷻ أن نبيّه ﷺ لا يجد من دونه ملتحداً: أي: مكاناً يميل إليه ويلجأ إليه إن لم يبلغ رسالة ربه ويطعه.

٣٦١ قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين؛ كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين.

٣٦٢ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

ومعنى اتباعه هواه: أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأمّارة بالسوء وتهواه من الشر؛ كالكفر والمعاصي.

٣٦٣ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة عندي أن معنى قوله: ﴿فُرُطًا﴾: أي: متقدماً للحق والصواب، نابذاً له وراء ظهره.

٣٦٤ قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

المراد من الآية الكريمة: ليس هو التخيير، وإنما المراد بها: التهديد والتخويف.

٣٦٥ قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

والمراد بالظالمين هنا: الكفار؛ بدليل قوله قبله: ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

٣٦٦ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقد قدمنا كثرة إطلاق الظلم على الكفر في القرآن كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

٣٦٧ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق.

٣٦٨ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

المراد بالسرادق في الآية فيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شيء واحد وهو: إحداق النار بهم من كل جانب.

٣٦٩ **قوله تعالى**: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

فإن قيل: أي إغاثة في ماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال الله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾؛ فالجواب: أن هذا من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن. ونظيره من كلام العرب قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامر ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

فمعنى قوله: «أعتبوا بالصيلم»: أي: أرضوا بالسيف؛ يعني: ليس لهم منا إرضاء إلا بالسيف.

٣٧٠ **قوله تعالى:** ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ [الكهف: ٣٥].

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٣].

ما وجه إفراد الجنة مع أنهما جنتان؟ أنه قال ما ذكره الله عنه حين دخل إحداهما إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد.

٣٧١ **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٤].

والمحاورة: المراجعة في الكلام ومنه قوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

وقول عنترة:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الجواب مكلمي

٣٧٢ **قوله تعالى:** ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله «لكن أنا» فحذفت همزة «أنا» وأدغمت نون «لكن» في نون «أنا» بعد حذف الهمزة.

٣٧٣ **قوله تعالى:** ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١].

معنى قوله: ﴿غَوْرًا﴾؛ أي: غائراً؛ فهو من الوصف بالمصدر.

والغائر: ضد النابع.

٣٧٤ **قوله تعالى:** ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١].

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾؛ لأن الله إذا أعدم ماءها بعد وجوده، لا تجد من يقدر على أن يأتيك به غيره جل وعلا.

٣٧٥ **قوله تعالى:** ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

في معنى الآية وجهان:

الأول: أن معنى ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾؛ أي: في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله؛ لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله.

الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وله على الكافرين ولاية الملك والقهر، كما في قوله: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

٣٧٦ **قوله تعالى:** ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ [الكهف: ٤٥].

ومعنى تذروه: ترفعه وتفرقه، فهي تذرو التراب والمطر وغيرهما.

٣٧٧ **قوله تعالى:** ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وأقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف؛ منهم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو ميسرة، وعمرو بن شرحبيل، أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعلى هذا القول جمهور العلماء، وجاءت

دالة عليه أحاديث مرفوعة عن أبي سعيد الخدري، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، والنعمان بن بشير، وعائشة رضي الله عنهم.

٣٧٨ قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

الذي يؤمل من عواقب الباقيات الصالحات، خير مما يؤمله أهل الدنيا من زينة حياتهم الدنيا، **والأمل**: طمع الإنسان بحصول ما يرجوه في المستقبل.

٣٧٩ قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

تنبيه الناس للعمل الصالح لئلا يشتغلوا بزينة الحياة الدنيا.

٣٨٠ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

بارزة، البروز: الظهور؛ أي: ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب والآكام، والشجر والعمارات التي كانت عليها.

٣٨١ قوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

أي: لم نترك، **والمغادرة**: الترك، ومنه الغدر؛ لأنه ترك الوفاء والأمانة، وسمي الغدير من الماء غديراً لأن السيل ذهب وتركه.

٣٨٢ قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿صَفًّا﴾ في هذه الآية يراد به: صفوفاً؛ كقوله في الملائكة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

٣٨٣ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: عبَّر فيه بالماضي وأراد المستقبل؛ لأن تحقيق وقوع ذلك ينزله منزلة الواقع بالفعل.

٣٨٤ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

أي: والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة؛ أي: حفاة عراة غرلاً، كل واحد منكم فرد لا مال معه ولا ولد، ولا خدم.

٣٨٥ قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٨].

المراد **بالكتاب:** جنس الكتاب، فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا.

٣٨٦ قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الكفار زعموا أن الله لن يجعل لهم موعداً، والموعد يشمل زمان الوعد ومكانه، والمعنى: أنهم زعموا أن الله لم يجعل وقتاً ولا مكاناً لإنجاز ما وعدهم على ألسنة رسله من البعث والجزاء والحساب. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من إنكارهم البعث جاء مبيناً في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ [التغابن: ٧]، وقد بيَّن الله تعالى كذبهم في إنكارهم للبعث في آيات كثيرة؛ كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨] وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

٣٨٧ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

يوم القيامة يجدون أعمالهم التي عملوها في الدنيا حاضرة محصاة عليهم.

٣٨٨ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ذكر جل وعلا في هذه الآية: أنه لا يظلم أحداً، فلا ينقص من حسنات محسن، ولا يزيد من سيئات مسيء، ولا يعاقب على غير ذنب.

٣٨٩ **قوله تعالى:** ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

هذه الآية الكريمة يفهم منها أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لأنهم وجدوا في كتاب أعمالهم صغائر ذنوبهم محصاة عليهم، فلو كانوا غير مخاطبين بها لما سجلت عليهم في كتاب أعمالهم. والعلم عند الله تعالى.

٣٩٠ **قوله تعالى:** ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ [الكهف: ٥٠].

ولأجل ظاهر هذه الآية الكريمة ذهبت جماعة من العلماء إلى أن إبليس ليس من الملائكة في الأصل بل من الجن.

٣٩١ **قوله تعالى:** ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

أي: خرج عن طاعة أمر ربه، **والفسق في اللغة**: الخروج؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج:

يهوين في نجد وغوراً غائراً   فواسقاً عن قصدها جوائراً

٣٩٢ قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

دليل على أن للشيطان ذرية ولكن طريقة وجود نسله هل هي عن تزويج أو غيره، لا دليل عليها من نص صريح. فادعاء أنه لا ذرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة كما ترى.

٣٩٣ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

قوله: ﴿عَضُدًا﴾؛ أي: أعواناً، وفي هذه الآية الكريمة التنبيه على أن الضالين المضلين لا تنبغي الاستعانة بهم.

٣٩٤ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

والتحقيق: أن الموبق المُهلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الشورى: ٣٤]؛ أي: يهلكهن.

٣٩٥ قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

والظن في هذه الآية بمعنى: اليقين؛ لأنهم أبصروا الحقائق وشاهدوا الواقع.

٣٩٦ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

المصرف: المعدل؛ أي: ولم يجدوا عن النار مكاناً ينصرفون إليه ويعدلون إليه، ليتخذوه ملجأً ومعتصماً ينجون فيه من عذاب الله.

٣٩٧ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: الجدل الخصومة خصومة القوم لأنبيائهم وردهم عليهم ما جاءوا به.

٣٩٨ قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦].

والباطل: ضد الحق وكل شيء زائل مضمحل تسميه العرب: باطلاً، ومنه قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا اللَّه باطل

٣٩٩ قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

والحق: ضد الباطل، وكل شيء ثابت غير زائل ولا مضمحل تسميه العرب حقّاً.

٤٠٠ قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

يجادلون بالباطل؛ أي: يخاصمون الرسل بالباطل؛ كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن.

٤٠١ قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦].

ويجمع الباطل كثيراً على أباطيل على غير القياس، ومنه قول كعب بن زهير:

وما مواعيدها إلا الأباطيل

٤٠٢ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

لا أحد أظلم؛ أي: أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر؛ أي: وعظ بآيات ربه، وهي هذا القرآن فأعرض عنها؛ أي: تولى وصد عنها.

٤٠٣ قوله تعالى: ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ﴾ [الكهف: ٥٧].

ونسبة التقديم إلى خصوص اليد؛ لأن اليد أكثر مزاولة للأعمال من غيرها من الأعضاء فنسبت الأعمال إليها على عادة العرب في كلامهم.

٤٠٤ قوله تعالى: ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ﴾ [الكهف: ٥٧].

أي: من المعاصي والكفر، مع أن الله لم ينسه؛ بل هو محصيه عليه ومجازيه، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦].

٤٠٥ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿وَقْرًاۖ﴾؛ أي: ثقلاً يمنعها من سماع ما ينفعهم من الآيات التي ذكروا بها.

٤٠٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية تغطي قلوبهم فتمنعها من إدراك ما ينفعهم مما ذكروا به، وواحد الأكنة كنان، وهو الغطاء.

٤٠٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: يفهموه؛ فالفقه: الفهم، ومنه قوله جل جلاله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: يفهمونه.

٤٠٨ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ فيه وفي كل ما يشابهه من الألفاظ وجهان معروفان لعلماء التفسير:

أحدهما: أن المعنى: جعلنا على قلوبهم أكنة لئلا يفقهوه، وعليه فلا النافية محذوفة دل المقام عليها، وعلى هذا القول هنا اقتصر ابن جرير الطبري.

والثاني: أن المعنى: جعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفقهوه، وعلى هذا فالكلام على تقدير مضاف.

٤٠٩ **قوله تعالى**: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

ذكر جل وعلا في هذه الآية: أنه غفور؛ أي: كثير المغفرة، وأنه ذو الرحمة يرحم عباده المؤمنين يوم القيامة ويرحم الخلائق في الدنيا.

٤١٠ **قوله تعالى**: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨].

بيَّن في هذه الآية الكريمة: أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة، فهو يمهل ولا يهمل.

٤١١ **قوله تعالى**: ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

أي: ملجأ يلجئون إليه فيعتصمون به من ذلك العذاب المجعول له الموعد المذكور.

٤١٢ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الكهف: ٥٩].

وتلك القرى إنما أشير به لهم لأنهم يمرون عليها في أسفارهم؛ كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

٤١٣ قوله تعالى: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠].

ومعلوم أن تعيين «البحرين» من النوع الذي قدمنا أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سُنَّة، وليس في معرفته فائدة؛ فالبحث عنه تعب لا طائل تحته، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه.

٤١٤ قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١].

أسند النسيان إليهما ـ مع أن من نسى فتى موسى ـ لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب.

٤١٥ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣].

دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

٤١٦ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

هذه الآية الكريمة مثالاً عند علماء العربية لحذف النعت؛ أي: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غير معيبة.

٤١٧ الخضر عليه السلام نبي.. ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا.

٤١٨ **قوله تعالى:** ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

قال ابن كثير: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه.

٤١٩ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿إِنَّمَآ﴾ من صيغ الحصر فكأن جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى (لا إله إلا الله).

٤٢٠ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣].

عن علي رضي الله عنه: أنهم أهل حروراء «الخوارج».

٤٢١ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٤].

أي: بطل واضمحل، والضلال يطلق في القرآن واللغة العربية **ثلاثة إطلاقات:**

الأول: الضلال بمعنى: الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل؛ كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر، وهذا أكثر استعمالاته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

الثاني: الضلال بمعنى: الهلاك والغيبة والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام إذا استهلك فيه وغاب فيه، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤]؛ أي: غاب واضمحل.

الثالث: الضلال بمعنى: الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]؛ أي: ذاهباً عما تعلمه الآن من العلوم والمعارف التي لا تعرف إلا بالوحي فهداك إلى تلك العلوم والمعارف بالوحي.

٤٢٢ **قوله تعالى**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة. اقْرَءُوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]» [صحيح مسلم: الحديث رقم ٢٧٨٥]

٤٢٣ **النزل** بضمتين: هو رزق الضيف الذي يقدم له عند نزوله إكراماً له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وربما استعملت العرب النزول على سبيل التهكم والاحتقار، وجاء القرآن باستعمال النزول فيما يقدم لأهل النار من العذاب كقوله: ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢] إلى قوله: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦]؛ أي: هذا العذاب المذكور هو ضيافتهم ورزقهم المقدم لهم عند نزولهم في دارهم التي هي النار.

٤٢٤ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

أي: خالدين في جنات الفردوس ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ أي: تحولاً إلى منزل آخر؛ لأنها لا يوجد منزل أحسن منها يرغب في التحول إليه عنها؛ بل هم خالدون فيها دائماً من غير تحول ولا انتقال.





سورة مريم

٤٢٥ قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٢، ٣].

ثناؤه ﷻ عليه بكون دعائه خفيّاً يدل على أن إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره وإعلانه.

٤٢٦ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

وهذا الذي ذكره هنا من إظهار الضعف يدل على أنه ينبغي للداعي إظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه.

٤٢٧ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

أي: لم أكن بدعائي إياك شقياً؛ أي: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك؛ يعني: أنك عودتني الإجابة فيما مضى.

٤٢٨ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦].

معنى قوله: ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾؛ أي: خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي: أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام.

٤٢٩ **قوله تعالى:** ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].

معنى قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال، **ويدل لذلك أمران:**

أحدهما: قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عنه ﷺ أنه قال: **«لا نورث، ما تركنا صدقة»**.

٤٣٠ **قوله تعالى:** ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧].

قوله جل وعلا: ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ يدل على أن الله هو الذي سماه، ولم يكل تسميته إلى أبيه، وفي هذا منقبة عظيمة ليحيى عليه السلام.

٤٣١ **قوله تعالى:** ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

أي: لم نجعل من قبله أحداً يتسمى باسمه، فهو أول من كان اسمه يحيى.

٤٣٢ **قوله تعالى:** ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

السمي يطلق في اللغة **إطلاقين:**

١ ـ فلان سمي فلان؛ أي: مسمى باسمه.

٢ ـ إطلاق السمي؛ يعني: المسامي؛ أي: المماثل في السمو والرفعة.

٤٣٣ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩].

دليل على أن المعدوم ليس بشيء، ونظيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، وهذا هو الصواب، خلافاً للمعتزلة.

٤٣٤ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به من الولد.

٤٣٥ قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

أن تمنع الكلام فلا تطيقه ثلاث ليال بأيامهن في حال كونك سويّاً؛ أي: سوي الخلق، سليم الجوارح.

٤٣٦ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

وأصل معنى «الْحُكْمَ»: المنع، والعلم النافع، والعمل به يمنع الأقوال والأفعال من الخلل والفساد والنقصان.

٤٣٧ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

﴿صَبِيًّا﴾؛ أي: لم يبلغ، وهو الظاهر.

٤٣٨ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

أن الله أعطاه الفهم في الكتاب؛ أي: إدراك ما فيه والعمل به في حال كونه صبياً.

٤٣٩ قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣].

والحنان: هو ما جبل عليه من الرحمة، والعطف والشفقة، ومنه قول طرفه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٤٤٠ قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

وإنما خص هذه الأوقات الثلاثة بالسلام لأنها أوحش من غيرها.

٤٤١ والظاهر: أن سلام الله على يحيى في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥] أعظم من سلام عيسى على نفسه في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم: ٣٣] كما هو ظاهر.

٤٤٢ قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣].

والمخاض: الطلق، وهو وجع الولادة، وسمي مخاضاً من المخض، وهو الحركة الشديدة لشدة تحرك الجنين في بطنها إذا أراد الخروج. وأقوال العلماء في قدر المدة التي حملت فيها مريم بعيسى قبل الوضع لم نذكرها؛ لعدم دليل على شيء منها، وأظهرها أنه حمل كعادة حمل النساء.

٤٤٣ قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣].

العرب تقول: جاء فلان، وأجاءه غيره: إذا حمله على المجيء، ومنه قول زهير:

وجار سار معتمدا إلينا أجاءته المخافة والرجاء

٤٤٤ **قوله تعالى:** ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك **قرينتان**:

الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل؛ لأن الله قال: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: ٢٢]؛ يعني: عيسى ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ [مريم: ٢٢]؛ أي: بعيسى.

ثم قال بعده: ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ [مريم: ٢٤]؛ فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى عليه السلام.

والقرينة الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال تعالى عنها: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته.

٤٤٥ **قوله تعالى:** ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

المراد **بالسري**: هو الجدول وهو النهر الصغير، ومنه قول لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها

٤٤٦ **قوله تعالى:** ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦].

اختار ابن كثير أن المراد: قولي ذلك بالإشارة، وهذا يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام.

٤٤٧ قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥].

وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية أن خير ما تطعمه النفساء الرطب.

٤٤٨ السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً لا ينافي التوكل على الله جل وعلا ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥].

٤٤٩ قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [مريم: ٢٦].

أي: إمساكاً عن الكلام في قول الجمهور، **والصوم لغة:** الإمساك.. قال النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

٤٥٠ قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [مريم: ٢٦].

الصحيح في معنى الآية: أن المراد بالصوم: الإمساك عن الكلام، بدليل قوله بعده: ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾؛ فهذا النذر الذي نذرته ألا تكلم اليوم إنسياً كان جائزاً في شريعتهم، أما في الشريعة التي جاءنا بها نبيُّنا ﷺ فلا يجوز ذلك النذر ولا يجب الوفاء به.

٤٥١ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله،

وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله أو ابنه أو إلٰه معه.

٤٥٢ قوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

التحقيق فيه إن شاء الله: أنه عبَّر بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع.

٤٥٣ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

اعلم أولاً أن لفظ ﴿مَا كَانَ﴾ يدل على النفي، فتارة يدل ذلك النفي من جهة المعنى على الزجر والردع؛ كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وتارة يدل على التعجيز؛ كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠]، وتارة يدل على التنزيه؛ كقوله هنا: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥].

٤٥٤ قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨] أسمع بهم وأبصر صيغتا تعجب، ومعنى الآية الكريمة: أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، وأنهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحق ولا يبصرونه؛ كقوله تعالى في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

٤٥٥ **قوله تعالى:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩].

الحسرة: أشد الندم والتلف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه، **والإنذار:** الإعلام المقترن بتهديد.

٤٥٦ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

أنه تعالى يُميت جميع الخلائق الساكنين بالأرض، ويبقى هو جل وعلا لأنه الحي الذي لا يموت، ثم يرجعون إليه يوم القيامة.

٤٥٧ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

الصديق: صيغة مبالغة من الصدق لشدة صدق إبراهيم في معاملته مع ربه وصدق لهجته كما شهد الله له بصدق معاملته ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٨].

٤٥٨ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [مريم: ٤٤].

التاء فيه عوض عن ياء المتكلم فالأصل: يا أبي كما أشار له في الخلاصة بقوله:

وفي الندا «أبت أمت» عرض   واكسر أو افتح ومن الياء التا عوض

٤٥٩ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم: ٤٤].

عبادته: طاعته للشيطان في الكفر والمعاصي فذلك الشرك شرك طاعة؛ كقوله جل وعلا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

٤٦٠ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

قابل جوابه العنيف بغاية الرفق واللين: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧].

٤٦١ قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

التحقيق في قوله: ﴿مَلِيًّا﴾ أن المراد به: الزمن الطويل، ومنه قول مهلهل:

فتصدعت صم الجبال لموته   وبكت عليه المرملات مليا

٤٦٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

﴿حَفِيًّا﴾؛ أي: لطيفاً بي، كثير الإحسان إليَّ.

٤٦٣ قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

اعلم أن في قوله: ﴿مُخْلَصًا﴾ قراءتين سبعيتين: قرأه عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول، والمعنى على هذه القراءة: أن الله استخلصه واصطفاه: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿مُخْلِصاً﴾ بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

٤٦٤ قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

والنداء المذكور: نداء الله له، فهو كلام الله أسمعه نبيّه موسى عليه السلام.

٤٦٥ وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد، وهذا من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

٤٦٦ **قوله تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة: قال السدي وابن جرير رحمهما الله: فالذي عني به من ذرية آدم: «إدريس»، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح: «إبراهيم»، والذي عني به من ذرية إبراهيم: «إسحاق ويعقوب وإسماعيل»، والذي عني به من ذرية إسرائيل: «موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم»، قال ابن جرير: ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح.

٤٦٧ **قوله تعالى**: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح: الصالح، وبالسكون: الطالح؛ قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلْف كجلد الأجرب

٤٦٨ **قوله تعالى**: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

العرب تطلق الغي على كل شر، والرشاد على كل خير؛ قال المرقش الأصغر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

٤٦٩ قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

أجمع العلماء على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر، ويقتل كفراً ما لم يتب.

٤٧٠ قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

اعلم أن التحقيق أنه يجب تقديم الصلوات الفوائت على الصلاة الحاضرة.

٤٧١ قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩].

مسألة: ـ ترتيب الفوائت في أنفسها فأكثر أهل العلم على وجوبه مع الذكر لا مع النسيان، وهو الأظهر.

٤٧٢ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

اللغو: هو فضول الكلام، وما لا طائل تحته، ويدخل فيه فحش الكلام وباطله.

٤٧٣ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾، استثناء منقطع؛ أي: لكن يسمعون فيها سلاماً؛ لأنهم يسلم بعضهم على بعض، وتسلم عليهم الملائكة.

٤٧٤ **قوله تعالى:** ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

معناه: أنه تعالى ليس له نظير ولا مماثل يساميه في العلو والعظمة والكمال.

٤٧٥ من أساليب العربية إسناد الفعل إلى المجموع، مع أن فاعله بعضهم لا جميعهم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

٤٧٦ كان عدماً فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى **دليل قاطع** على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

٤٧٧ **قوله تعالى:** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

جثياً: جمع: جاث، **والجاثي**: اسم فاعل: جثّا يجثو جثواً، وجثى يجثي جثيّاً: إذا جلس على ركبتيه.

٤٧٨ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

أن الرؤساء القادة في الكفر يعذبون قبل غيرهم ويشدد عليهم العذاب لضلالهم وإضلالهم.

٤٧٩ **قوله تعالى:** ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

يعني: أن ورودهم النار المذكور كان حتماً على ربك مقضياً؛

أي: أمراً واجباً مفعولاً لا محالة، **والحتم**: الواجب الذي لا محيد عنه.

٤٨٠ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [مريم: ٧٣].

بينات: مرتلات الألفاظ، واضحات المعاني، بينات المقاصد، إما محكمات جاءت واضحة، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات.

٤٨١ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ أي: مجلساً ومجتمعاً، والاستفهام في قوله: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ الظاهر: أنه استفهام تقرير، ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في تقشف ورثاثة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقاماً وأحسن ندياً منا.

٤٨٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

لجهلهم يظنون أن الله لم يعطهم نصيباً من الدنيا إلا لرضاه عنهم، ومكانتهم عنده، وأن الأمر في الآخرة سيكون كذلك. وقد أبطل الله تعالى دعواهم هذه في آيات كثيرة من كتابه؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

٤٨٣ قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

وكم هي الخبرية، ومعناها: الإخبار بعدد كثير؛ **الأثاث**: متاع البيت؛ **وَرِئْياً**: أحسن منظراً وهيئة.

[٤٨٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

وأظهر الأقوال عندي في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، أنه متعلق بما قبله وما يليه، والمعنى: فليمدد له الرحمٰن مدّاً حتى إذا رأى ما يوعد علم أن الأمر على خلاف ما كان يظن.

[٤٨٥] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

في معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، وكلاهما يشهد له قرآن:

الأول: أن الله ﷻ أمر نبيّه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين.

الوجه الثاني: أن صيغة الطلب في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾، يراد بها الإخبار عن سُنَّة الله في الضالين، وعليه فالمعنى: أن الله أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يرى ما يوعده، وهو في غفلة وكفر وضلال.

[٤٨٦] قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾، في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]؛ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، والجند هم الأنصار والأعوان، فالمقابلة المذكورة ظاهرة.

٤٨٧ سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

أخرج الشيخان وغيرهما من غير وجه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه، قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقّاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

٤٨٨ قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠].

ما يقول إنه يؤتاه يوم القيامة من مال وولد؛ أي: نسلبه منه في الدنيا ما أعطيناه من المال والولد بإهلاكنا إياه.

٤٨٩ قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠].

أي: منفرداً لا مال له ولا ولد ولا خدم ولا غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٤٩٠ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

أي: سلّطناهم عليهم وقيضناهم لهم، عن ابن عباس: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾؛ أي: تغريهم إغراء.

٤٩١ قال ابن السماك وهو يعظ المأمون: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

٤٩٢ **قوله تعالى**: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

الوفد: جمع: وافد، والوافد: من يأتي إلى الملك مثلاً إلى أمر له شأن، وجمهور المفسرين على أن معنى: ﴿وَفْدًا﴾: ركباناً.

٤٩٣ **قوله تعالى**: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

الورد: الإتيان إلى الماء؛ ولما كان الإتيان إلى الماء لا يكون إلا من العطش أطلق هنا اسم الورد على الجماعة العطاش.

٤٩٤ **قوله تعالى**: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى.

٤٩٥ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

محبة في قلوب عباده وصرح في موضع آخر بدخول نبيّه موسى في هذا العموم ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

٤٩٦ **قوله تعالى**: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

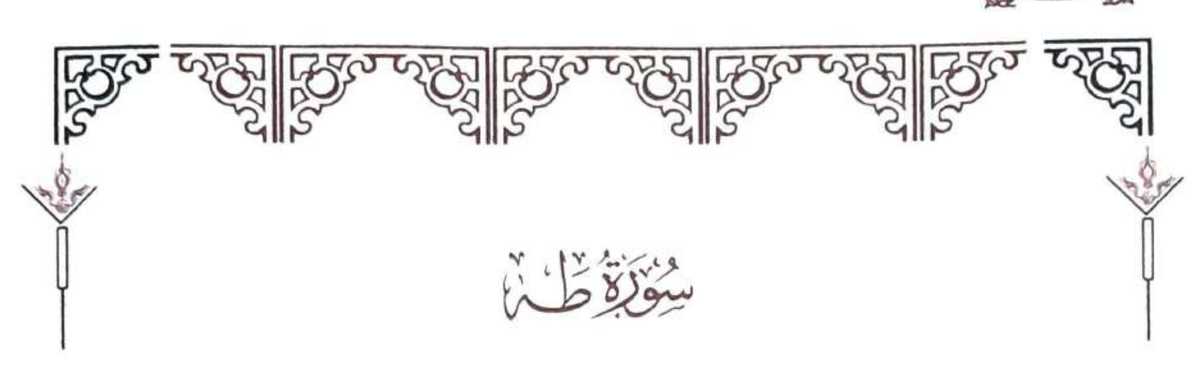
﴿لُّدًّا﴾ جمع: الألد، وهو شديد الخصومة، ومنه قوله جل وعلا: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وقول الشاعر:

أبيت نجيا للهموم كأنني أخاصم أقواما ذوي جدل لدا

٤٩٧ **قوله تعالى:** ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

﴿رِكْزًا﴾؛ أي: صوتاً، وأصل الركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح: إذا غيب طرفه وأخفاه في الأرض.





سورة طه

٤٩٨ **قوله تعالى**: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢].

أصل الشقاء في اللغة: العناء والتعب، ومنه قول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

٤٩٩ **في قوله تعالى**: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢].

وجهان من التفسير، وكلاهما يشهد له قرآن:

الأول أن المعنى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: لتتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا. وهذا الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

الوجه الثاني: أنه ﷺ صلى بالليل حتى تورمت قدماه، فأنزل الله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: تنهك نفسك بالعبادة، وتذيقها المشقة الفادحة. وما بعثناك إلا بالحنيفية السمحة. وهذا الوجه تدل له ظواهر آيات من كتاب الله؛ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

٥٠٠ **قوله تعالى**: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣].

التذكرة: الموعظة التي تلين لها القلوب فتمتثل أمر الله وتجتنب

نهيه، وخص بالتذكرة من يخشى دون غيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

٥٠١ قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤].

﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق، منصوب بنزل مضمرة دلَّ عليها قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢]؛ أي: نزَّله الله تنزيلاً.

٥٠٢ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

ذكر الاستواء باسمه الرحمٰن ليعم جميع خلقه برحمته.

٥٠٣ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

الله ﷻ يعلم ما يسره الإنسان اليوم وما سيسره غداً، والعبد لا يعلم ما في غد، كما قال زهير:

ولكنني عن علم ما في غد عم

٥٠٤ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

فلا حاجة لك إلى الجهر بالدعاء، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

٥٠٥ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

أقوال العلماء في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَأَخْفَى﴾:

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾؛ أي: ما قاله العبد سرّاً ﴿وَأَخْفَى﴾؛ أي: ويعلم ما هو أخفى من السر، وهو ما توسوس به نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦].

وقال بعض أهل العلم: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾؛ أي: ما توسوس

به نفسه ﴿وَأَخْفَى﴾ من ذلك، وهو ما علم الله أن الإنسان سيفعله قبل أن يعلم الإنسان أنه فاعله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَالِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

٥٠٦ **قوله تعالى:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**».

٥٠٧ **قوله تعالى:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقد دلَّ بعض الأحاديث على أن من أسمائه جلَّ وعلا ما استأثر به ولم يعلمه خلقه كحديث: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

٥٠٨ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن: أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [طه: ١٠].

٥٠٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

صريح في أن الله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتمل غير ذلك، كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام.

٥١٠ **قوله تعالى:** ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧ـ٢٨].

قال بعض العلماء: دلَّ قوله: ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ بالتنكير، والإفراد، وإتباعه لذلك بقوله: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ على أنه لم يسأل إزالة جميع ما بلسانه من العقد؛ بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فهم كلامه مع بقاء بعضها. وهذا المفهوم دلّت عليه آيات أخر؛

كقوله تعالى عنه: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

٥١١ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ٣٨].

والتعبير بالموصول في قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ للدلالة على تعظيم شأن الأمر المذكور؛ كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

٥١٢ قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٨]

التَّابُوتِ: الصندوق.

الْيَمِّ: البحر.

الساحل: شاطئ البحر.

البحر المذكور: نيل مصر.

القذف: الإلقاء.

٥١٣ قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩].

فيها وجهان معروفان عند العلماء:

١ ـ صيغة الأمر معناها: الخبر.

٢ ـ صيغة الأمر في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ أريد بها الأمر الكوني القدري.

٥١٤ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩].

قال ابن عباس: أي: أحبه الله وحببه إلى خلقه، وقال قتادة: كانت في عيني موسى ملاحة، ما رآه أحد إلا أحبه.

٥١٥ **قوله تعالى:** ﴿كَىْ نَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه: ٤٠].

فقرة العين من بردها؛ لأن عين المسرور باردة، ودمع البكاء من السرور بارد جداً، بخلاف عين المحزون فإنها حارة.

٥١٦ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠].

أي: جئت على القدر الذي قدرته وسبق في علمي أنك تجيء فيه فلم تتأخر عنه ولم تتقدم كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

٥١٧ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢].

أي: لا تضعفا، ولا تفترا في ذكري، وقد أثنى الله على من يذكره في جميع حالاته في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٥١٨ **قوله تعالى:** ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢].

والونى في اللغة: الضعف، والفتور، ومنه قول العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر   له الإله ما مضى وما غبر

٥١٩ قال بعض أهل العلم: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

معناه: على رجائكما وطمعكما، فالترجي، والتوقع المدلول عليه بـ: لعل راجع إلى جهة البشر.

٥٢٠ منهج الدعوة من أكرم خلق الله موسى عليه السلام إلى أكفر عباد الله فرعون بهذا الأسلوب الهادئ اللين الحكيم منطلقاً من قوله

تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] فكانا كما أمرهما الله وقالا كما علمهما الله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩].

٥٢١ ما وجه التثنية في [طه: ٤٧] ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ والإفراد في [الشعراء: ١٦] ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فالإفراد في [الشعراء] نظراً إلى أن أصل الرسول مصدر. والتثنية في [طه] اعتداداً بالوصفية العارضة وإعراضاً عن الأصل.

٥٢٢ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

يدخل فيه السلام على فرعون إن اتبع الهدى؛ ويفهم من الآية: أن من لم يتبع الهدى لا سلام عليه، وهو كذلك.

٥٢٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى طريق استعماله.

٥٢٤ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

التفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم.

٥٢٥ قوله تعالى: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

أي: أصنافاً مختلفة من أنواع النبات؛ فالأزواج: جمع: زوج، وهو هنا الصنف من النبات.

٥٢٦ قوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣].

معناه: أنه جعل في داخل الأرض بين أوديتها وجبالها سبلاً فجاجاً يمر الخلق معها.

٥٢٧ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣ ـ ٥٤].

وقد بيَّن ﷻ في هاتين الآيتين أربع آيات من آياته الكبرى الدالة على أنه المعبود وحده. ومع كونها من آيات تدل على كمال قدرته واستحقاقه العبادة وحده دون غيره فهي من النعم العظمى على بني آدم.

الأولى: فرشه الأرض على هذا النمط العجيب.

الثانية: جعله فيها سبلاً يمر معها بنو آدم ويتوصلون بها من قطر إلى قطر.

الثالثة: إنزاله الماء من السماء على هذا النمط العجيب.

الرابعة: إخراجه أنواع النبات من الأرض.

٥٢٨ قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ﴾ [طه: ٥٤].

الأمر في قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟﴾ للإباحة ولا يخفى ما تضمنه من الامتنان والاستدلال على استحقاق المنعم بذلك للعبادة وحده.

٥٢٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

أي: لأصحاب العقول فالنهى: جمع: نهية بضم النون، وهي العقل لأنه ينهى صاحبه عما لا يليق.

٥٣٠ **قوله تعالى:** ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

ذكر في هذه الآية **ثلاث مسائل**:

١ - خلق بني آدم من الأرض.

٢ - يعيدهم فيها.

٣ - يخرجهم منها مرة أخرى.

٥٣١ **قوله تعالى:** ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨].

مكان وسط تستوي أطراف البلد فيه. لتوسطها بينها، فلم يكن أقرب للشرق من الغرب، ولا للجنوب من الشمال. ليتمكن جميع الناس أن يحضروا.

٥٣٢ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

وأقوال أهل العلم في يوم الزينة راجعة إلى أنه يوم معروف لهم، يجتمعون فيه ويتزينون. سواء قلنا: إنه يوم عيد لهم، أو يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون فيه بأنواع الزينة.

٥٣٣ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

قال الزمخشري: وإنما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه، وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق،

ويكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر. ليعلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر، والحضر.

٥٣٤ قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٠].

المراد: جمعه للسحرة من أطراف مملكته، ويدل على هذا تسمية السحر في القرآن كيداً كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩].

٥٣٥ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ [طه: ٦٩].

المراد بقوله ﷻ: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾: أنها تبتلع كل ما زوروه وافتعلوه من الحبال، والعصي التي خيلوا للناس أنها تسعى.

٥٣٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

دليل على كفر الساحر؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر.

٥٣٧ الفعل في سياق النفي من صيغ العموم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر.

٥٣٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

السحر لغة: كل شيء خفي سببه ولطف ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر.

٥٣٩ قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

وأطلق عليهم اسم السحرة في حال سجودهم لله مؤمنين به نظراً إلى حالهم الماضية.

٥٤٠ **قوله تعالى:** ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [طه: ٧١].

الله جل جلاله عصمهم منه لأجل إيمانهم الراسخ بالله تعالى؛ لأن الله يقول لموسى وهارون:

﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

٥٤١ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ [طه: ٧٣].

خطايانا جمع: خطيئة، وهي الذنب العظيم؛ كالكفر ونحوه.

٥٤٢ **قوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣].

وأكثر المفسرين على أن المعنى: أن ثوابه خير مما وعدهم فرعون؛ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: أدوم؛ لأن ما وعدهم به فرعون زائل، وثواب الله باق.

٥٤٣ **قوله تعالى:** ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

الدرك: اسم مصدر بمعنى: الإدراك؛ أي: لا يدرك فرعون وجنوده، ولا يلحقونك من ورائك، ولا تخشى من البحر أمامك.

٥٤٤ تقرر في علم النحو أن الفعل المضارع المنفي بلا إذا كانت جملته حالية وجب الربط فيها بالضمير وامتنع بالواو؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ [طه: ٧٧]؛ أي: في حال كونك لا تخاف دركاً.

٥٤٥ قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

﴿ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: البحر؛ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ أي: أغرق الله فرعون وجنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم.

٥٤٦ قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [طه: ٨٠].

الْمَنَّ: اسم جامع لما يمن الله به على عبده من غير كد، ولا تعب؛ **وَالسَّلْوَىٰ**: طائر سواء قلنا: إنه السمانى أو طائر يشبهه.

٥٤٧ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

﴿هَوَىٰ﴾: هلك وصار إلى الهاوية، وأصله أن يسقط من جبل أو نحوه فيهوي إلى الأرض فيهلك، ومنه قول الشاعر:

هوى من رأس مرقبة ... ففزلة رجله ويده

٥٤٨ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه ﷻ. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له ﷻ عن مشابهة المخلوقين ﷻ عن ذلك علوّاً كبيراً.

٥٤٩ قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [طه: ٨١].

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ نهاهم عن الطغيان فيما رزقهم، وهو أن يتعدوا حدود الله فيه بأن يكفروا نعمته به، ويشغلهم اللهو والنعيم

عن القيام بشكر نعمه، وأن ينفقوا رزقه الذي أنعم عليهم به في المعاصي، أو يستعينوا به على المعصية، أو يمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيه، ونحو ذلك.

٥٥٠ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

غفار: كثير المغفرة لمن تاب إليه من معاصيه وكفره، وآمن به وعمل صالحاً ثم اهتدى.

٥٥١ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤].

وفي هذه الآية سؤال معروف: وهو أن جواب موسى ليس مطابقاً للسؤال الذي سأله ربه؛ لأن السؤال عن السبب الذي أعجله عن قومه، والجواب لم يأت مطابقاً لذلك. لأنه أجاب بقوله: هم أولاء على أثري وعجلت إليك.

وأجيب عن ذلك **بأجوبة:**

(منها): أن قوله: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾؛ يعني: هم قريب وما تقدمتهم إلا بيسير يغتفر مثله، فكأني لم أتقدمهم ولم أعجل عنهم لقرب ما بيني وبينهم.

(ومنها): أن الله ﷻ لما خاطبه بقوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ داخله من الهيبة، والإجلال، والتعظيم لله ﷻ ما أذهله عن الجواب المطابق.. والله أعلم.

٥٥٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

الفتنة المذكورة هي عبادتهم العجل؛ فهي فتنة إضلال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

٥٥٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

«**الفتنة**»: أطلقت في القرآن **إطلاقات متعددة**:

(**منها**): الوضع في النار؛ كقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

أي: يحرقون بها.

(**ومنها**): الاختبار وهو الأغلب في استعمال الفتنة؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

(**ومنها**): نتيجة الاختبار إذا كانت سيئة. ومن هنا أطلقت الفتنة على الشرك؛ كقوله:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله في هذه الآية: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [طه: ٨٥].

(**ومنها**): الحجة؛ كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ أي: لم تكن حجتهم.

٥٥٤ قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦].

﴿أَسِفًا﴾؛ أي: شديد الغضب؛ وعلى هذا فقوله: ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾؛ أي: غضبان شديد الغضب.

كذلك، من إطلاق الأسف على الغضب في القرآن قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ أي: فلما أغضبونا بتماديهم في الكفر مع توالي الآيات عليهم انتقمنا منهم.

٥٥٥ **قوله تعالى:** ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٦].

الاستفهام فيه للإنكار؛ يعني: لم يطل العهد؛ لأن طول العهد مظنة النسيان؛ والعهد قريب لم يطل فكيف نسيتم؟

٥٥٦ **قوله تعالى:** ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٦].

قال بعض العلماء: «أَمْ» هنا هي المنقطعة، والمعنى: بل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم. ومعنى إرادتهم حلول الغضب: أنهم فعلوا ما يستوجب غضب ربهم بإرادتهم. فكأنهم أرادوا الغضب لما أرادوا سببه، وهو الكفر بعبادة العجل.

٥٥٧ **قوله تعالى:** ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٨٦].

كانوا وعدوه أن يتبعوه لما تقدمهم إلى الميقات، وأن يثبتوا على طاعة الله تعالى، فعبدوا العجل وعكفوا عليه ولم يتبعوا موسى.

٥٥٨ كل فعل مضارع في القرآن مجزوم بـ«لم» إذا تقدمتها همزة استفهام؛ كقوله هنا:

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦].

فيه وجهان معروفان عند العلماء:

الأول: أن مضارعته تنقلب ماضوية، ونفيه ينقلب إثباتاً. فيصير قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ بمعنى: وعدكم، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بمعنى: شرحنا.

الوجه الثاني: أن الاستفهام في ذلك التقرير، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول «بلى» وعليه فالمراد من قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ حملهم على أن يقروا بذلك فيقولوا بلى هكذا. ونظير هذا من كلام العرب قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

٥٥٩ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه: ٨٧].

ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، فلو ملكنا أمرنا ما أخلفنا موعدك. اعتذار منهم بأنهم ما أخلفوا الموعد باختيارهم، ولكنهم مغلوبون على أمرهم من جهة السامري وكيده، وهو اعتذار بارد.

٥٦٠ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» عن الحسن البصري: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة: أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير.

٥٦١ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٧ ـ ٨٨].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ. وأما الرقص، والتواجد: فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً

جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون. فمن كان عمله مخالفاً للشرع كمتصوفة آخر الزمان فهو الضال، ومن كان عمله موافقاً لما جاء به نبيِّنا ﷺ فهو المهتدي؛ نرجو الله تعالى أن يهدينا وإخواننا المؤمنين.

٥٦٢ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

قال الفخر الرازي: وليس المقصود من هذا أن العجل لو كان يكلمهم لكان إلٰهاً؛ لأن الشيء يجوز أن يكون مشروطاً بشروط كثيرة، ففوات واحد منها يقتضي فوات المشروط، ولكن حصول الواحد فيها لا يقتضي حصول المشروط.

٥٦٣ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

كيف عبدوا ما لا يقدر على رد الجواب لمن سأله، ولا يملك نفعاً لمن عبده ولا ضرّاً لمن عصاه.

٥٦٤ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٣].

قال بعض أهل العلم: «لا» في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ زائدة للتوكيد، والذي يظهر أن زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته أسلوب من أساليب اللغة:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع

يعني: كاد يتقطع.

٥٦٥ الأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول، قال ﷻ عن نبيّه موسى في خطابه لأخيه: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣] فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر.

٥٦٦ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤].

وهذه الآية فيها الدلالة على أن الخبر ليس كالعيان.

٥٦٧ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤].

إنما قال هارون لأخيه: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾؛ لأن قرابة الأم أشد عطفاً وحناناً من قرابة الأب.

٥٦٨ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤].

هذه الآية الكريمة بضميمة آية «الأنعام» إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٨٤]. ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبيّنا ﷺ بالاقتداء بهم، وأمره ﷺ بذلك أمر لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه. إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمت الرسل الكرام عليهم السلام.

٥٦٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

الإله؛ أي: المعبود بحق ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾؛ أي: لا معبود بالحق إلا هو وحده ﷻ.

٥٧٠ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩].

«منْ» للتبعيض، ويفهم من ذلك أن بعضهم لم يقصص عليه خبره، ويدل لهذا المفهوم قوله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

٥٧١ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: ثم في تسمية القرآن بالذكر **وجوه:**

أحدها: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم.

وثانيها: أنه يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه تعالى. ففيه التذكير، والمواعظ.

وثالثها: أنه فيه الذكر، والشرف لك ولقومك على ما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

٥٧٢ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ١٠٠].

المراد بذلك: الوزر المحمول أثقال ذنوبهم وكفرهم يأتون يوم القيامة يحملونه.

٥٧٣ قال القرطبي عن تفسير هذه الآية بما نصه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].

أي: عن حال الجبال يوم القيامة، فقل.

جاء هنا بفاء، وكل سؤال في القرآن «قل» بغير فاء إلا هذا؛ لأن المعنى: إن سألوك عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى

الشرط، وقد علم الله أنهم يسألونه عنها فأجابهم قبل السؤال. وتلك أسئلة تقدمت، سألوا عنها النبي ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال. فلذلك كان بغير فاء. وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد فتفهمه انتهى منه. وما ذكره يحتاج إلى دليل، والعلم عند الله تعالى.

٥٧٤ قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦].

القاع: المستوي من الأرض، وقيل: مستنقع الماء، والصفصف: المستوي الأملس الذي لا نبات فيه، ولا بناء، فإنه على صف واحد في استوائه.

٥٧٥ قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

أي: لا اعوجاج فيها، ولا أمت، والأمت: النتوء اليسير؛ أي: ليس فيها اعوجاج، ولا ارتفاع بعضها على بعض؛ بل هي مستوية.

٥٧٦ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [طه: ١٠٨].

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا يحيدون عنه، ولا يميلون يميناً، ولا شمالاً.

٥٧٧ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [طه: ١٠٨].

قال بعض أهل العلم: هو ملك يناديهم.. أيتها العظام النخرة، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة، قومي إلى ربك للحساب.

٥٧٨ قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

خفضت، وخفتت، وسكنت هيبة الله، وإجلالاً وخوفاً؛ لا تسمع إلا همساً: صوتاً خفيّاً خافتاً من شدة الخوف.

٥٧٩ **قوله تعالى**: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

عنت؛ أي: ذلت وخضعت.

ومنه قول أمية:

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وظاهر القرآن يدل أن المراد الذل والخضوع لله يوم القيامة، وكل الخلائق تظهر عليهم في ذلك اليوم علامات الذل، والخضوع لله تعالى.

٥٨٠ **قوله تعالى**: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

أي: خسر من حمل شركاً، وتدل لهذا القول الآيات القرآنية الدالة على تسمية الشرك ظلماً؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٥٨١ **قوله تعالى**: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

الحي: المتصف بالحياة الذي لا يموت أبداً. **القيوم**: القائم بتدبير شؤون جميع الخلق وهو القائم على كل نفس بما كسبت.

٥٨٢ **قوله تعالى**: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

الظلم: المنع من الحق كله، **والهضم**: النقص والمنع من بعض الحق، فكل هضم ظلم، ولا ينعكس.

٥٨٣ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤].

نهاه عن العجلة بقراءة القرآن مع جبريل؛ بل أمره أن ينصت لقراءة جبريل حتى ينتهي، ثم يقرؤه هو بعد ذلك.

٥٨٤ العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة، لذلك أسند إلى آدم النسيان، والعصيان ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

٥٨٥ **قوله تعالى:** ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

قال القرطبي: وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل **فتشقيا يعلمنا** أن نفقة الزوجة على الزوج.

٥٨٦ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾؛ أي: لا تصير بارزاً للشمس، ليس لك ما تستكن فيه من حرها.

٥٨٧ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ ـ ١١٩].

احذر من عدوك أن يخرجك من دار الراحة التي يضمن لك فيها الشبع، والري، والكسوة، والسكن.

٥٨٨ قال القرطبي: النفقة التي تجب للمرأة على زوجها: الطعام، والشراب، والكسوة، والمسكن ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

٥٨٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ ـ ١١٩].

والظاهر: أن الذي في هذه الآية الكريمة من البديع المعنوي في اصطلاح البلاغيين، هو ما يسمى «مراعاة النظير»، ويسمى «التناسب، والائتلاف. والتوفيق، والتلفيق» فهذه كلها أسماء لهذا النوع من البديع المعنوي. وضابطه: أنه جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥]؛ فإن الشمس، والقمر متناسبان.

وإذا علمت هذا فاعلم أنه ﷻ ناسب في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ بين نفي الجوع المتضمن لنفي الحرارة الباطنية، والألم الباطني الوجداني، وبين نفي العري المتضمن لنفي الألم الظاهري من أذى الحر، والبرد، وهي مناسبة لا بالتضاد. كما أنه تعالى ناسب في قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ بين نفي الظمأ المتضمن لنفي الألم الباطني الوجداني الذي يسببه الظمأ. وبين نفي الضحى المتضمن لنفي الألم الظاهري الذي يسببه حر الشمس ونحوه كما هو واضح.

٥٩٠ **قوله تعالى:** ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠].

أي: كلَّمه كلاماً خفيّاً فسمعه منه آدم وفهمه.

٥٩١ **قوله تعالى:** ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠].

الوسوسة، والوسواس: الصوت الخفي ويقال: لهمس الصائد، والكلاب، وصوت الحلي: وسواس؛ كقول الأعشى:

«تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت»

٥٩٢ **قوله تعالى:** ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

تعيين الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها لا طائل تحته، لعدم الدليل على تعيينها، وعدم الفائدة في معرفة عينها.

٥٩٣ **قوله تعالى:** ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢٠].

فبدت سوءاتهما؛ أي: عوراتهما، وسميت العورة سوءة؛ لأن انكشافها يسوء صاحبها.

٥٩٤ لا شك أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك، كما قال هنا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

٥٩٥ **قوله تعالى:** ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

شرعا يلزقان عليهما من ورق الجنة بعضه ببعض ليسترا به عوراتهما.

٥٩٦ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

الاجتباء: الاصطفاء، والاختيار؛ أي: ثم بعد ما صدر من آدم بمهلة اصطفاه ربه واختاره فتاب عليه وهداه إلى ما يرضيه.

٥٩٧ **قوله تعالى:** ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

لا يضل في الدنيا؛ أي: لا يزيغ عن طريق الحق لاستمساكه بالعروة الوثقى، ولا يشقى في الآخرة.

٥٩٨ ولم يضمن الله لأحد ألا يكون ضالاً في الدنيا ولا شقياً في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

٥٩٩ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

تكون معيشته ضنكاً في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، والعياذ بالله تعالى.

٦٠٠ **قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

أي: عيشاً ضيقاً، **والضنك في اللغة**: الضيق، ومنه قول عنترة:

المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

٦٠١ **قوله تعالى:** ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

٦٠٢ أي: أعمى البصر، والقرينة المذكورة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥] فصرح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر.

٦٠٣ العرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦] فالمراد في هذه الآية: الترك قصداً.

٦٠٤ وعد بالرزق من يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وذلك

في قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٦٠٥ **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

وإنما عبَّر عن هذا القرآن بأنه بينة ما في الصحف الأولى؛ لأنه برهان قاطع على صحة جميع الكتب المنزلة من الله ﷻ.

٦٠٦ **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

وهي هذا القرآن العظيم؛ لأنه آية هي أعظم الآيات وأدلها على الإعجاز.

٦٠٧ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ﴾ [طه: ١٣٥].

كل منا ومنكم متربص؛ أي: منتظر ما يحل بالآخر من الدوائر؛ كالموت، والغلبة.

٦٠٨ **قوله تعالى:** ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

وهذا يظهر لهم يوم القيامة إذا عاينوا الحقيقة، ويظهر لهم في الدنيا لما يرونه من نصر الله لنبيِّه ﷺ.

٦٠٩ **قوله تعالى:** ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

سيتضح لكم أنا مهتدون؛ وأنا على صراط مستقيم؛ وأنكم على ضلال وباطل.

٦١٠ **قوله تعالى:** ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

الصراط: الطريق الواضح، **والسوي**: المستقيم، وهو الذي لا اعوجاج فيه.







سورة الأنبياء

٦١١ **قوله تعالى**: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قوله: ﴿لِبَشَرٍ﴾ نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله.

٦١٢ الدليل أن الخضر ليس بحي بل توفي.. ظاهر عموم **قوله تعالى**: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

٦١٣ **قوله تعالى**: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

العجلة التي هي خلاف التأني، والتثبت، والعرب تقول: خلق من كذا، يعنون بذلك: المبالغة في الإتصاف؛ كقولهم: خلق فلان من كرم.

٦١٤ **قوله تعالى**: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾؛ أي: من هو الذي يحفظكم ويحرسكم بالليل في حال نومكم والنهار في حال تصرفكم في أموركم.

٦١٥ **قوله تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

حصر الإنذار في الوحي دون غيره.

٦١٦ **قوله تعالى:** ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

هذا القرآن العظيم ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾؛ أي: كثير البركات والخيرات؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة.

٦١٧ جرت العادة بأن المبطل إذا أفحم بالدليل لجأ إلى ما عنده من القوة ليستعملها ضد الحق ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

٦١٨ **قوله تعالى:** ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

عن علي وابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لمات إبراهيم من بردها.

٦١٩ **قوله تعالى:** ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

هو ما جعل فيها من الخصب، والأشجار، والأنهار، والثمار. ومن ذلك أنه بعث أكثر الأنبياء منها.

٦٢٠ **قوله تعالى:** ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

هذه الآية الكريمة تشير إلى هجرة إبراهيم ومعه لوط من أرض العراق إلى الشام فراراً بدينهما.

٦٢١ **قوله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

قال ابن عباس، وقتادة: النافلة: ولد الولد؛ يعني: أن يعقوب ولد إسحاق.

٦٢٢ قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

أصل الحكم في اللغة: المنع؛ فمعنى الآيات: أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل.

٦٢٣ قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

القرطبي: الحكم: النبوة. والعلم: المعرفة بأمر الدين، وما يقع به الحكم بين الخصوم.

٦٢٤ قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥].

وأدخلناه؛ يعني: لوطاً ﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾ شامل لنجاته من عذابهم الذي أصابهم، وشامل لإدخاله إياه في رحمته التي هي الجنة.

٦٢٥ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**».

٦٢٦ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ولولا ما ذكره الله من أمر داود وسليمان عليهما السلام لرأيت أن القضاة هلكوا فإنه أثنى على سليمان عليه السلام بعلمه، **وعذر داود** عليه السلام باجتهاده الحسن.

٦٢٧ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل باجتهاد وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك. فقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود** عليه السلام**، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود** عليهما السلام**، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى**». [رواه البخاري].

٦٢٨ **قوله تعالى**: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

المراد **بصنعة اللبوس**: صنعة الدروع ونسجها؛ والدليل: أن المراد باللبوس في الآية الدروع أنه أتبعه بقوله: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

٦٢٩ **قوله تعالى**: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

الظاهر فيه: أن صيغة الاستفهام هنا يراد بها الأمر، ومن إطلاق الاستفهام بمعنى الأمر في القرآن قوله: **﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾** [المائدة: ٩١]؛ أي: انتهوا.

٦٣٠ **قوله تعالى**: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

شكر العبد لربه: هو أن يستعين بنعمه على طاعته، **وشكر الرب لعبده**: هو أن يثيبه الثواب الجزيل من عمله القليل.

٦٣١ **قوله تعالى**: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ لأن مسكنه فيها وهي الشام، فترده إليه.

٦٣٢ ولم يكن **قوله**: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

جزعاً؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]؛ بل كان ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله جل وعلا، والدعاء لا ينافي الرضا.

٦٣٣ **قوله تعالى**: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

مع قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣] فيه دلالة على أن أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال هم الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه.

٦٣٤ **قوله تعالى**: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لن نضيق عليه في بطن الحوت.

٦٣٥ **قوله تعالى**: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

مغاضباً قومه من أجل ربه؛ أي: من أجل كفرهم به وعصيانهم له.

٦٣٦ **قوله تعالى**: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أي: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

٦٣٧ **قوله تعالى**: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أجبناه ونجيناه من الغم، وإطلاق «استجاب»؛ بمعنى: أجاب معروف منه قول الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

٦٣٨ نادى يونس في تلك الظلمات هذا النداء العظيم فاستجاب له الله جل وعلا ونجاه من الغم ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٦٣٩ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

المراد بالأمة: الشريعة والملة، والمعنى: وأن هذه شريعتكم شريعة واحدة، وهي توحيد الله على الوجه الأكمل من جميع الجهات.

٦٤٠ **قوله تعالى:** ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣].

أي: تفرقوا في الدين وكانوا شيعاً؛ فمنهم يهودي، ومنهم نصراني، ومنهم عابد وثن إلى غير ذلك من الفرق المختلفة.

٦٤١ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

عبَّر الله فيها بلفظة «ما» التي هي لغير العقلاء، المراد: الأصنام، وأنه لا يتناول عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة.

٦٤٢ **قوله تعالى:** ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

أهل النار لهم فيها زفير والعياذ بالله تعالى، وأظهر الأقوال في الزفير أنه كأول صوت الحمار، وأن الشهيق كآخره.

٦٤٣ **قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الصحيفة، والمراد بالكتب: ما كتب فيها؛ أي: كطي الصحيفة على ما كتب فيها.

٦٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿ٱلزَّبُورِ﴾ الذي هو الكتاب يراد به جنس الكتاب فيشمل الكتب المنزلة؛ كالتوراة، والإنجيل، وزبور داود، وغير ذلك.

٦٤٥ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فيه وجهان:

- أنها أرض الجنة يورثها الله يوم القيامة عباده الصالحين.
- أن المراد بالأرض أرض العدو يورثها الله للمؤمنين.

٦٤٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

الإشارة في قوله: ﴿هَٰذَا﴾ للقرآن العظيم الذي منه هذه السورة الكريمة، والبلاغ: الكفاية وما تبلغ به البغية.

٦٤٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

وخص القوم العابدين بذلك لأنهم هم المنتفعون به.

٦٤٨ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

﴿إِنَّمَا﴾ من صيغ الحصر، فكأن جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى، (لا إله إلا الله).

٦٤٩ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

قوله: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ الأذان: الإعلام. ومنه الأذان للصلاة وقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣]؛ أي: إعلام منه.

٦٥٠ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾؛ أي: أعلمتكم أني حرب لكم كما أنكم حرب لي، بريء منكم كما أنتم براء مني.





سورة الحج

٦٥١ **قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الحج: ٢].

فقيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ فيدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها: نزعته عن فيه؛ لما يلحقها من الدهشة.

٦٥٢ إن قلت: هي مرضع، تريد أنها ذات رضاع وإن قلت: هي مرضعة بمعنى: أنها تفعل الرضاع؛ أي: تلقم الولد الثدي ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

٦٥٣ **قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٣].

نازلة في الأتباع الجهلة الذين يجادلون بغير علم، اتباعاً لرؤسائهم ويدل لهذا قوله جل وعلا: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

٦٥٤ **قوله تعالى:** ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

والمريد: العاتي؛ الشيطان في هذه الآية، يشمل كل عات يدعو إلى عذاب السعير ويضل عن الهدى، سواء كان من شياطين الجن أو الإنس.

٦٥٥ قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

يدل على أن الهدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر.

٦٥٦ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

فمن أوجدكم الإيجاد الأول، وخلقكم من التراب قادر على إيجادكم، وخلقكم مرة ثانية.

٦٥٧ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

النطفة في اللغة: الماء القليل والنطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة خلافاً لمن زعم أنها من ماء الرجل وحده.

٦٥٨ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

خلق أباهم آدم منها، فلما كان أصلهم الأول من تراب، أطلق عليهم أنه خلقهم من تراب؛ لأن الفروع تبع للأصل.

٦٥٩ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

إذا مجت الرحم النطفة في طورها الأول قبل أن تكون علقة، فلا يترتب على ذلك حكم من أحكام إسقاط الحمل، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

٦٦٠ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

أي: قطعة دم جامدة، ومن إطلاق العلق على الدم المذكور قول زهير:

إليك أعملتها فتلا مرافقها شهرين يجهض من أرحامها العلق

٦٦١ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

إذا سقطت النطفة في طورها الثاني؛ أي: علقة فلا خلاف بين العلماء في أن تلك العلقة لا يصلى عليها، ولا تغسل، ولا تكفن، ولا تورث.

٦٦٢ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ تامة، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير تامة والمراد: منها ما هو كامل الخلقة، سالم من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك.

٦٦٣ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج: ٥].

المضغة: وهي القطعة الصغيرة من اللحم، على قدر ما يمضغه الآكل ومنه قوله ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**».

٦٦٤ قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥].

أي: لنبيِّن لكم بهذا النقل من طور إلى طور، كمال قدرتنا على البعث بعد الموت، وعلى كل شيء.

٦٦٥ قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

أي: نقر في أرحام الأمهات ما نشاء إقراره فيها من الأحمال والأجنة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: معلوم معين في علمنا.

٦٦٦ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

لماذا أفرد ﴿طِفْلًا﴾؟ لأن من أساليب اللغة العربية أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره.

٦٦٧ **قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٨].

يدخل فيها: أهل البدع والضلال، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة.

٦٦٨ **قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٨].

مفهوم مخالفتها: أنه من يجادل بعلم على ضوء هدى كتاب منير، كهذا القرآن العظيم ـ أن ذلك سائغ محمود.

٦٦٩ **قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٨، ٩].

وهذه الآية في الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين في ذلك.

٦٧٠ تبين من **قوله تعالى:** ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أنه مضل لغيره، متبوع في الكفر والضلال.

٦٧١ **قوله تعالى:** ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الحج: ٩].

أي: ذل وإهانة وقد أذل الله الذين جادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ كأبي جهل، والنضر بن الحارث بالقتل يوم بدر.

٦٧٢ قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٩].

يخاصم بالباطل في حال كونه ثاني عطفه؛ أي: لاوي عنقه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً.

٦٧٣ قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢].

أي: يدعو ما لا يضره إن ترك عبادته وكفر به، وما لا ينفعه إن عبده وزعم أنه يشفع له.

٦٧٤ قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣].

فإن قيل: ما وجه الجمع بين نفيه تعالى النفع والضر معاً عن ذلك المعبود من دون الله في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الحج: ١٢] مع إثباتهما في قوله: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣]؛ لأن صيغة التفضيل في قوله: ﴿أَقْرَبُ﴾ دلت على أن هناك نفعاً وضرّاً، ولكن الضر أقرب من النفع.

أجاب أبو حيان في «البحر» وحاصله: أن الآية الأولى في الذين يعبدون الأصنام؛ فالأصنام لا تنفع من عبدها، ولا تضر من كفر بها؛ ولذا قال فيها: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الحج: ١٢] والقرينة على أن المراد بذلك الأصنام، هي التعبير بلفظة «ما» في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الحج: ١٢]؛ لأن لفظة «ما» تأتي لما لا يعقل، والأصنام لا تعقل.

أما الآية الأخرى فهي في من عَبَد بعض الطغاة المعبودين من دون الله؛ كفرعون القائل:

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ

﴿إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فإن فرعون ونحوه من الطغاة المعبودين قد يغدقون نعم الدنيا على عابديهم؛ ولذا قال له القوم الذين كانوا سحرة: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢] فهذا النفع الدنيوي بالنسبة إلى ما سيلاقونه من العذاب والخلود في النار كلا شيء، فضر هذا المعبود بخلود عابده في النار أقرب من نفعه بعرض قليل زائل من حطام الدنيا، والقرينة على أن المعبود في هذه الآية الأخيرة بعض الطغاة الذين هم من جنس العقلاء هي التعبير بـ«من» التي تأتي لمن يعقل في قوله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣] هذا هو خلاصة جواب أبي حيان، وله اتجاه، والله تعالى أعلم.

٦٧٥ قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

والتحقيق: أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله.

٦٧٦ قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب، يواليك وتواليه به؛ **والْعَشِيرُ**: هو المعاشر، وهو الصاحب والخليل.

٦٧٧ قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

أي: بحبل إلى السماء؛ أي: سماء بيته والمراد به السقف؛ لأن العرب تسمي كل ما علاك سماء كقولهم: وقد يسمى سماء كل مرتفع.

٦٧٨ قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠].

الْحَمِيمُ: الماء البالغ شدة الحرارة، يذيب جلودهم، كما يذيب ما في بطونهم لشدة حرارته.

٦٧٩ قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩].

نزلت في المبارزين يوم بدر وهم: حمزة وعلي وعبيدة، وفي أقرانهم المبارزين من الكفار وهم: عتبة وابنه الوليد وأخوه شيبة.

٦٨٠ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

لهب النار يرفعهم حتى يكاد يرميهم خارجها فتضربهم خزنة النار بمقامع الحديد فتردهم في قعرها. نعوذ بالله من النار، ومن كل ما يقرب إليها من قول وعمل.

٦٨١ قوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥].

﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: هو المقيم في الحرم والْبَادِ: الطارئ عليه من البادية، وكذلك غيرها من أقطار الدنيا.

٦٨٢ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥].

العزم المصمم على ارتكاب الذنب فيه، والعزم المصمم على الذنب ذنب يعاقب عليه في جميع بقاع الله؛ مكة وغيرها. مثال المعاقبة على العزم المصمم على ارتكاب المحظور فيه، ما وقع بأصحاب الفيل من الإهلاك المستأصل لعزمهم على ارتكاب المناكر في الحرم.

٦٨٣ السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

أو حرمة الزمان ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

٦٨٤ **قوله تعالى:** ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

يدل على أن له مكاناً سابقاً، كان معروفاً. والله أعلم.

٦٨٥ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

أي: هيأناه له، وعرفناه إياه، ليبنيه بأمرنا على قواعده الأصلية المندرسة، حين أمرنا ببنائه.

٦٨٦ قال بعض أهل العلم: الطواف أفضل من صلاة النافلة في مكة واستدلوا بأن الله ﷻ قدم الطواف على الصلاة: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

٦٨٧ **قوله تعالى:** ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦].

والتطهير هنا: يشمل التطهير المعنوي والحسي فيطهره الطهارة الحسية من الأقذار، والمعنوية من الشرك والمعاصي.

٦٨٨ **قوله تعالى:** ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧].

رجالاً: جمع: راجل، وهو الماشي على رجليه **والضامر**: البعير ونحوه.

وقال ابن كثير: والذي عليه الأكثرون أن الحج راكباً أفضل اقتداء بالنبي ﷺ فإنه حج راكباً مع كمال قوته.

٦٨٩ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

الأذان لغة: الإعلام، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ [التوبة: ٣].

وقول الشاعر:

آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

٦٩٠ قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

والفج: الطريق، وجمعه: فجاج. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١] **والعميق:** البعيد.

٦٩١ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

ذكر المفسرون أنه لما أمره ربه أن يؤذن في الناس بالحج قال: يا رب، كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه. وقيل: على الحجر. وقيل: على الصفا. وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللَّهُمَّ لبيك.

٦٩٢ قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿ٱلْعَتِيقِ﴾: القديم؛ لأنه أقدم مواضع التعبد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

٦٩٣ قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

دلَّت هذه الآية أيضاً على لزوم الطواف من وراء الحجر الذي عليه الجدار القصير شمال البيت؛ لأن أصله من البيت.

٦٩٤ قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

دلَّت هذه الآية الكريمة، على لزوم طواف الإفاضة وأنه لا صحة للحج بدونه.

٦٩٥ قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾: المتواضعين لله المطمئنين، الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم؛ أي: خافت من الله.

٦٩٦ قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦].

فيدخل في الآية تعظيم البدن؛ روى البخاري: أنهم كانوا يسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله.

٦٩٧ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

﴿الْقَانِعَ﴾: هو الطامع الذي يسأل أن يعطى من اللحم، **وَالْمُعْتَرَّ**: هو الذي يعتري متعرضاً للإعطاء من غير سؤال وطلب.

٦٩٨ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].

جعلناها منقادة لكم تفعلون بها ما شئتم من نحر وركوب، وحلب وغير ذلك ولولا أن الله ذللها لكم لم تقدروا عليها.

٦٩٩ الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

٧٠٠ **قوله تعالى**: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤].

أي: كيف كان إنكاري عليهم منكرهم، الذي هو كفرهم بي، وتكذيبهم رسلي، وهو ذلك العذاب المستأصل الذي بيّنا وبعده عذاب الآخرة.

٧٠١ **قوله تعالى**: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أهلك كثيراً من القرى في حال كونها ﴿ظَالِمَةٞ﴾؛ أي: بسبب ذلك الظلم، وهو الكفر بالله وتكذيب رسله، فصارت بسبب الإهلاك والتدمير ديارها متهدمة وآبارها معطلة، لا يسقى منها شيء لإهلاك أهلها الذين كانوا يستقون منها.

٧٠٢ **قوله تعالى**: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦].

الآية تدل على أن محل العقل: في القلب، فما يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل.

٧٠٣ **قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١].

عن الزجاج ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: ظانين أنهم يعجزوننا؛ لأنهم ظنوا ألا بعث، وأن الله لا يقدر عليهم.

٧٠٤ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢].

﴿تَمَنَّىٰٓ﴾؛ بمعنى: قرأ وتلا، ومنه قول حسان في عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليله   وآخرها لاقى حمام المقادر

٧٠٥ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

يدل على أن كلّاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة.

٧٠٦ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥٢].

فالذي يظهر لنا أنه الصواب، وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ: الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده.

والدليل على هذا المعنى: أن الله بيَّن أن الحكمة في الإلقاء المذكور امتحان الخلق؛ لأنه قال: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣] ثم قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] فقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية، يدل على أن الشيطان يلقي عليهم، أن الذي يقرؤه النبي ﷺ ليس بحق فيصدقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا الكذب؛ كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه: فهذا الامتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة، والعلم عند الله تعالى.

٧٠٧ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

تخبت له قلوبهم: تخشع وتخضع وتطمئن، واعلم أن مرض القلب في القرآن يطلق **على نوعين:**

أحدهما: مرض بالنفاق والشك والكفر، ومنه قوله تعالى في المنافقين ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

والثاني: منهما إطلاق مرض القلب على ميله للفاحشة والزنى، ومنه بهذا المعنى قوله جل جلاله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]؛ أي: ميل إلى الزنى.

٧٠٨ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

القرينة القرآنية دلت أن المراد باليوم العقيم: يوم القيامة لا يوم بدر، أتبع جل جلاله ذكر اليوم العقيم بقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الحج: ٥٦].

٧٠٩ **قوله تعالى:** ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦].

ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة: أن الملك يوم القيامة له، وإن كان الملك في الدنيا له أيضاً؛ لأن في الدنيا ملوكاً من المخلوقين، ويوم القيامة لا يكون فيه اسم الملك إلا لله ﷻ وحده.

٧١٠ **قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

إيلاج كل واحد منهما في الآخر، إنما هو بإدخال جزء منه فيه، وبذلك يطول النهار في الصيف؛ لأنه أولج فيه شيء من الليل ويطول الليل في الشتاء؛ لأنه أولج فيه شيء من النهار، وهذا من أدلة قدرته الكاملة.

٧١١ **قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

الظاهر: أن «تَرَ» هنا من رأى بمعنى: علم؛ لأن إنزال المطر وإن كان مشاهداً بالبصر فكون الله هو الذي أنزله، إنما يدرك بالعلم لا بالبصر؛ فالرؤية هنا علمية على التحقيق.

٧١٢ **قوله تعالى:** ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

المراد بالذي سماهم المسلمين فيه: هو الله لا إبراهيم، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

❁ ❁ ❁



سورة المؤمنون

٧١٣ **قوله تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

الفلاح يطلق في لغة العرب على **معنيين:**

الأول: الفوز بالمطلوب الأكبر.

والثاني: هو إطلاق الفلاح على البقاء السرمدي في النعيم.

٧١٤ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

أصل الخشوع: السكون، والطمأنينة، والانخفاض، **وفي الشرع:** خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح، وقد بيّن أن من لم يتصف بهذا الخشوع تصعب عليه الصلاة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

٧١٥ استدل جماعة من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] على أن من خشوع المصلي: أن يكون نظره في صلاته إلى موضع سجوده.

٧١٦ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

أصل اللغو: ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه.

٧١٧ **قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

المراد بها: زكاة الأموال، وعزاه ابن كثير للأكثرين.

القول الثاني: زكاة النفس؛ أي: تطهيرها من الشرك، والمعاصي.

قال ابن كثير: ويحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس، وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس.

٧١٨ **قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

تدل بظاهرها على منع نكاح المتعة.

٧١٩ **قوله تعالى:** ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

الفردوس: أعلى الجنة، وأوسطها، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن ﷻ جعلنا الله من أهلها.

٧٢٠ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦].

بيَّن ﷻ في هذه الآية الكريمة: أنهم بعد أن أنشأهم خلقاً آخر؛ فأخرج الواحد منهم من بطن أمه صغيراً، ثم يكون محتلماً، ثم يكون شاباً، ثم يكون كهلاً، ثم يكون شيخاً، ثم هرماً؛ أنهم كلهم صائرون إلى الموت من عمَّر منهم ومن لم يعمر، ثم هم بعد الموت يبعثون أحياء، يوم القيامة للحساب والجزاء.

٧٢١ **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قيل لها طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض؛ يوضح معناه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥].

٧٢٢ **قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بمقدار معين عنده يحصل به نفع الخلق فهو ينزله بالقدر الذي فيه المصلحة، دون المفسدة.

٧٢٣ **قوله تعالى:** ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

قال ﷺ: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**» رواه الترمذي.

٧٢٤ **قوله تعالى:** ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

هي شجرة الزيتون، والدهن الذي تنبت به: هو زيتها، صبغ للآكلين؛ أي: إدام يأتدمون به.

٧٢٥ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤].

﴿تَتْرَا﴾؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد، وكل متتابع متتال تسميه العرب متواتراً.

٧٢٦ **قوله تعالى:** ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

بعداً؛ أي: هلاكاً مستأصلاً، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

٧٢٧ **قوله تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

الأحاديث جمع: أحدوثة، وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً؛ كقول الشاعر:

من الخفرات البيض ود جليسها   إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

٧٢٨ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح، وهو كذلك.

٧٢٩ **قوله تعالى:** ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

كتاب الأعمال الذي يحصيها الله فيه، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٧٣٠ **قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

شريعتكم واحدة ودينكم واحد وربكم واحد؛ فلا تتفرقوا في الدين.

٧٣١ **قوله تعالى:** ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

﴿زُبُرًا﴾؛ أي: قطعاً كزبر الحديد والفضة؛ أي: قطعها.

٧٣٢ **قوله تعالى:** ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾:

قال الكلبي: جهالتهم.

ابن بحر: في حيرتهم.

ابن سلام: في غفلتهم.

وقول بعضهم: في ضلالتهم.

فمعنى كل هذه الأقوال واحد.

٧٣٣ قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

معنى نطق الكتاب بالحق: أن جميع المكتوب فيه حق فمن قرأ المكتوب فيه؛ كأنه لا ينطق في قراءته له إلا بالحق.

٧٣٤ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

أم المذكورة في هذه الآية هي المعروفة عند النحويين بأم المنقطعة، وأم المنقطعة تأتي **لثلاثة معان:**

الأول: أن تكون بمعنى: بل الإضرابية.

الثاني: أن تكون بمعنى همزة استفهام الإنكار.

الثالث: أن تكون بمعناهما معاً فتكون جامعة بين الإضراب والإنكار، وهذا الأخير هو الأكثر في معناها.

٧٣٥ وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف وهو أن يقال: قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] يفهم من مفهوم مخالفته، أن قليلاً من الكفار، ليسوا كارهين للحق.

والجواب عن هذا السؤال: هو ما أجاب به بعض أهل العلم

بأن قليلاً من الكفار، كانوا لا يكرهون الحق، وسبب امتناعهم عن الإيمان بالله ورسوله ليس هو كراهيتهم للحق، ولكن سببه الأنفة والاستنكاف من توبيخ قومهم، وأن يقولوا صبؤوا وفارقوا دين آبائهم، ومن أمثلة من وقع له هذا: أبو طالب فإنه لا يكره الحق، الذي جاء به النبي ﷺ، وقد كان يشد عضده في تبليغه رسالته كما قدمنا في شعره في قوله:

اصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وقد بيَّن أبو طالب في شعره: أن السبب المانع له من اعتناق الإسلام ليس كراهية الحق، ولكنه الأنفة والخوف من ملامة قومه أو سبهم له، كما في قوله:

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك يقينا

٧٣٦ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

المراد بالخرج والخراج هنا: **الأجر والجزاء.**

٧٣٧ قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩].

والظاهر أن معنى **تسحرون** هنا: **تخدعون بالشبه الباطلة فيذهب بعقولكم، عن الحق كما يفعل بالمسحور، والله تعالى أعلم.**

٧٣٨ قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

الكالح: هو الذي تقلصت شفتاه حتى بدت أسنانه، والنار والعياذ بالله تحرق شفاههم، **حتى تتقلص عن أسنانهم.**

٧٣٩ **قوله تعالى:** ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

المغفرة: ستر الذنوب بعفو الله وحلمه حتى لا يظهر لها أثر يتضرر به صاحبها.. اللَّهُمَّ اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا.

والرحمة صفة لله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمٰن، واسمه الرحيم، وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم.





سورة النور

٧٤٠ عدم قبول شهادة الكفار مطلقاً؛ لأن الله يقول في المسلمين الفاسقين: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤] فالكافر أولى بذلك.

٧٤١ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

هل حد القذف على الذكور فقط؟

أم يشمل كل من قذف غيره؟

لا يخفى أن الآية إنما نصت على قذف الذكور للإناث خاصة؛ لأن ذلك هو صريح قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ وقد أجمع جميع المسلمين على أن قذف الذكور للذكور، أو الإناث للإناث، أو الإناث للذكور لا فرق بينه وبين ما نصت عليه الآية، من قذف الذكور للإناث؛ للجزم بنفي الفارق بين الجميع.

٧٤٢ من قذف إنساناً بغير الزنى أو نفي النسب؛ كأن يقول له: يا فاسق، أو: يا آكل الربا، ونحو ذلك من أنواع السب يلزمه التعزير.

٧٤٣ **قوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

والزكاة في هذه الآية: هي الطهارة من أنجاس الشرك، والمعاصي.

٧٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ [النور: ٢١].

أي: يطهره من أدناس الكفر والمعاصي بتوفيقه وهدايته إلى الإيمان والتوبة النصوح والأعمال الصالحة.

٧٤٥ قوله تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ [النور: ٢٢].

فيه الأمر من الله للمؤمنين إذا أساء إليهم بعض إخوانهم المسلمين أن يعفوا عن إساءتهم ويصفحوا.

الصفح: قال بعض أهل العلم: مشتق من صفحة العنق؛ أي: أعرضوا عن مكافأة إساءتهم حتى كأنكم تولونها بصفحة العنق، معرضين عنها.

وأصل العفو: من عفت الريح الأثر إذا طمسته. والمعنى: فليطمسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم.

٧٤٦ قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾ [النور: ٢٢].

دليل على أن العفو والصفح على المسيئ المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل.

٧٤٧ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

دليل أن دخول الإنسان بيت غيره بدون الاستئذان والسلام لا يجوز.

٧٤٨ إذا قال أهل المنزل للمستأذن: ارجع، وجب عليه الرجوع؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨].

٧٤٩ كان بعض أهل العلم يتمنى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا له: ارجع، ليرجع، فيحصل له فضل الرجوع المذكور في قوله: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨].

٧٥٠ نهى المرأة أن تضرب برجلها لتُسمع الرجال صوت خلخالها ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النور: ٣١].

٧٥١ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ [النور: ٣١].

قول ابن مسعود: إنها ظاهر الثياب، وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها، وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة.

٧٥٢ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النور: ٣١].

لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟﴾ [النور: ٣١] فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته.

٧٥٣ قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

الفلاح في اللغة: يطلق على **معنيين:**

١ ـ الفوز بالمطلوب الأعظم.

٢ ـ البقاء الدائم في النعيم والسرور

ومن تاب إلى الله ـ كما أمره الله ـ نال الفلاح بمعنييه، فإنه يفوز بالمطلوب الأعظم وهو الجنة، ورضا الله ﷻ، وكذلك ينال البقاء الأبدي في النعيم والسرور.

وأظهر أقوال أهل العلم أنه إن تاب توبة نصوحاً وكفَّر الله عنه سيئاته بتلك التوبة النصوح، ثم عاد إلى الذنب بعد ذلك أن توبته الأولى الواقعة على الوجه المطلوب لا يبطلها الرجوع إلى الذنب؛ بل تجب عليه التوبة من جديد لذنبه الجديد.

٧٥٤ قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

الخالية من زوج إذا خطبها كفء ورضيته وجب على وليها تزويجها إياه.

٧٥٥ قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

فيه وعد من الله للمتزوج الفقير من الأحرار والعبيد بأن الله يغنيه والله لا يخلف الميعاد.

٧٥٦ لفظة «لَمَّا» ترد في القرآن وفي كلام العرب على **ثلاثة أنواع**:

الأول: لما النافية الجازمة للمضارع، نحو قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤].

الثاني: أن تكون حرف استثناء بمعنى: إلا، فتدخل على الجملة الإسمية؛ كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

الثالث: من أنواع «لَمَّا» هو النوع المختص بالماضي المقتضي جملتين، توجد ثانيتهما عند وجود أولاهما؛ كقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩]؛ أي: لما ظلموا أهلكناهم، فما قبلها دليل على الجملة المحذوفة، وهذا النوع هو الغالب في القرآن وفي كلام العرب.

٧٥٧ **قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤].

فحادثة الإفك التي نزلت فيها براءة عائشة رضي الله عنها في هذه الآيات نزل مثلها آيات في يوسف عليه السلام ومريم عليها السلام وكلهم رُمي بما لا يليق، وكل منهم برأه الله تعالى.

٧٥٨ **قوله تعالى**: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

تقلب القلوب: هو حركتها من أماكنها، وتقلب الأبصار: هو دورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف.

٧٥٩ **قوله تعالى**: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [النور: ٣٨].

يدل على أن المباح حسن لأن أحسن صيغة تفضيل، وصيغة التفضيل المذكورة تدل على أن من أعمالهم حسناً لم يجزوه وهو المباح.

٧٦٠ الطير تسبِّح وتصلي صلاة وتسبيحاً يعلمهما الله ونحن لا نعلمهما ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

٧٦١ **قوله تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣].

الودق: هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن.

٧٦٢ طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

٧٦٣ **قوله تعالى**: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور٦٠].

دليل واضح على أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح، لا يرخص لها في وضع شيء من ثيابها بحضرة الأجانب.

٧٦٤ **قوله تعالى**: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

هذه الآية دليل على قاعدة: الأمر المجرد عن القرائن يقتضي الوجوب.

٧٦٥ وإتيان قد للتحقيق مع المضارع كثير جداً في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨].





سورة الفرقان

٧٦٦ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

الإنذار: هو الإعلام المقترن بتهديد وتخويف، وكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً.

٧٦٧ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

تبارك: أي: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، وذلك يستلزم عظمته وتقدسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

٧٦٨ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١].

تبارك: هو مما يختص به الله تعالى، فلا يقال لغيره تبارك..

قال الشاعر:

تباركت لا معط لشيء منعته ... وليس لما أعطيت يا رب مانع

٧٦٩ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

ذكره صفة العبودية مع تنزيل الفرقان، يدل على أن العبودية لله هي أشرف الصفات.

٧٧٠ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

الإفك: هو أسوأ الكذب؛ لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل.

٧٧١ قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٦].

فيه وجهان:

١ ـ أن معنى كونه مسؤولاً: أن المؤمنين كانوا يسألونه، وكانت الملائكة أيضاً تسأله لهم.

٢ ـ مسؤولاً: أي: واجباً.

٧٧٢ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

قال ابن كثير: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾؛ أي: يشرك بالله.

وهذا التفسير تشهد له آيات من كتاب الله؛ كقوله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

٧٧٣ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠].

كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه أن لا يحسده.

٧٧٤ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].

يدل بدليل خطابه: أي: مفهوم مخالفته، أن غير المجرمين يوم يرون الملائكة تكون لهم البشرى.. إذا المجرم رأى الملائكة عند موته لا بشرى له لأنه يرى العذاب، أما المؤمن إذا رأى الملائكة عنده موته يفرح ويستبشر جعلنا الله منهم.

٧٧٥ **قوله تعالى**: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

الظالم: عقبة بن أبي معيط.

وفلاناً: أمية بن خلف.

٧٧٦ **قوله تعالى**: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

أصله من حجره بمعنى: منعه، والحجر: الحرام؛ لأنه ممنوع ومنه قوله: ﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]؛ أي: حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

٧٧٧ يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وأنهم يتقلبون في رياض الجنة ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] فإن من كان في سرور ونعمة، يقصر عليه الزمن الطويل قصراً شديداً بخلاف من كان في العذاب المهين والبلايا والكروب، فإن الزمن القصير يطول عليه جداً.

٧٧٨ **قوله تعالى**: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

أي: أهلكهم جميعاً إهلاكاً مستأصلاً **والتتبير**: **الإهلاك** والتكسير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨]؛ أي: هلاكاً.

٧٧٩ **قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ راجع إلى ماء المطر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

٧٨٠ قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان: ٥٠].

ليتذكر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، ويتذكر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء، فيبادروا بالتوبة.

٧٨١ قوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

أي: كفراً لنعمة من أنزل عليهم المطر، وذلك بقولهم: مطرنا بنوء كذا.

٧٨٢ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١].

لو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة وبعثنا في كل قرية نذيراً يتولى مشقة إنذارها عنك ولكنا اصطفيناك، بعموم الرسالة.

٧٨٣ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

قصة نهر السنغال بجنب مدينة سان لويس يرويها الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول:

وأما على القول الثاني بأن مرج بمعنى: خلط؛ فالمعنى: أنه يوجد في بعض المواضع اختلاط الماء الملح والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر؛ بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا محقق الوجود في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال

بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرت مدينة سان لويس عام ست وستين وثلاثمائة وألف هجرية، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، ولكن أخبرني بعض المرافقين الثقات أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذباً وفراتاً، وبالأخرى ملحاً أجاجاً، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ﷻ ما أعظمه، وما أكمل قدرته.

٧٨٤ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

وكان الكافر معيناً للشيطان، وحزبه من الكفرة **على عداوة الله** ورسله.

٧٨٥ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: كان لازماً دائماً غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال: فلان مغرم بكذا؛ أي: لازم له مولع به.

٧٨٦ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

أي: بين ذلك المذكور من الإسراف والقتر، ﴿قَوَامًا﴾؛ أي: عدلاً وسطاً سالماً من عيب الإسراف والقتر.

أصول الاقتصاد الكبار **أربعة**:

الأول: معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال، واجتناب الاكتساب به، إن كان محرماً شرعاً.

الثاني: حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة ما يبيحه خالق السماوات والأرض، وما لا يبيحه.

الثالث: معرفة حكم الله في الأوجه التي يصرف فيها المال، واجتناب المحرم منها.

الرابع: حسن النظر في أوجه الصرف واجتناب ما لا يفيد منها، فكل من بنى اقتصاده على هذه الأسس الأربعة كان اقتصاده كفيلاً بمصلحته، وكان مرضياً لله.







سورة الشعراء

٧٨٧ قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩].

المراد: كفر النعمة؛ يعني: أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيراً وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفساً منا.

٧٨٨ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

أي: من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي؛ لأني في ذلك الوقت لم يوح إلي.

٧٨٩ من كذَّب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر؛ لأن أصل **دعوة جميع** الرسل واحدة قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

٧٩٠ قال بعض العلماء: كل «لَعَلَّ» في القرآن فهي للتعليل إلا التي في الشعراء: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] **فهي** بمعنى: كأنكم تخلدون.

٧٩١ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١].

وإنما قال إنهم كذبوا المرسلين مع أن الذي كذبوه هو صالح وحده؛ لأن دعوة جميع الرسل واحدة، وهي تحقيق معنى لا إله إلا الله.

٧٩٢ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨].

كل صوت غير عربي تسميه العرب: أعجم، ولو من غير عاقل.

٧٩٣ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، وحين تقوم من فراشك ومجلسك. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أي: المصلين.

٧٩٤ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الشعر كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح.





سورة النمل

٧٩٥ قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

قال ابن كثير: أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة.

٧٩٦ لمَّا جاء الهدهد يخبر سليمان عليه السلام عن ملكة سبأ وقومها لم يعلم عنهم شيئاً فلم يكذب الخبر بكونه من الهدهد ولم يصدقه؛ لأنه لم يعلم عنهم سابقاً، مع أنه وصف حالهم وصفاً دقيقاً. وكان موقفه موقف التثبت مع ما لديه من إمكانيات الكشف والتحقيق فقال له: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

٧٩٧ قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾؛ أي: تشاءمنا بك، **التطير**: التشاؤم، وأصل اشتقاقه من التشاؤم بزجر الطير.

٧٩٨ قوله تعالى: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

أي: سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله؛ فالشر الذي أصابكم بذنوبكم لا بشؤم صالح.

٧٩٩ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

فهو حاجز من قدرة الله غير مرئي للبشر.

٨٠٠ الله جل جلاله أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره، قال جل جلاله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٨٠١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفِرْية والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]. [صحيح مسلم].

٨٠٢ قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِۚ﴾ [النمل: ٦٦].

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها؛ أي: يعلمون في الآخرة علماً كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا.

٨٠٣ قوله تعالى: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

«من» بمعنى: عن، وعمون جمع: عم، وهو الوصف من عمي يعمى فهو أعمى وعم؛ قال زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

٨٠٤ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يرد أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يدفعون جميعاً.

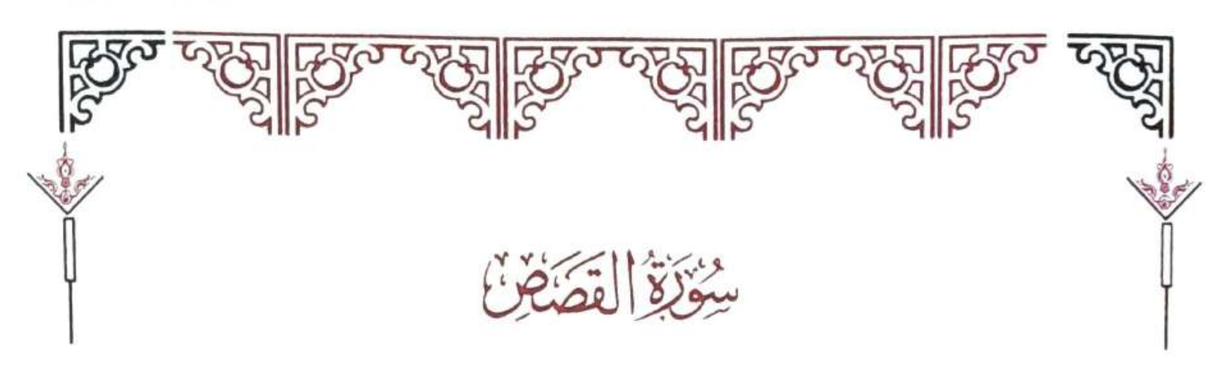
[٨٠٥] قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤].

سؤال توبيخ وتقريع، فقد وبخهم جل وعلا فيه على فساد الاعتقاد، وفساد الأعمال.

[٨٠٦] قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ يعني: الشرك.





سورة القصص

٨٠٧ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

أئمة جمع: إمام؛ أي: قادة في الخير، دعاة إليه.

٨٠٨ قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

﴿لِيَكُونَ﴾: اللام لام التعليل المعروفة بلام كي؛ كأنه يقول: قدرنا عليهم التقاطه بمشيئتنا ليكون لهم عدوّاً وحزناً.

٨٠٩ قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

حرَّم الله تعالى عليه المراضع غير أمه تحريماً كونيّاً قدريّاً.

٨١٠ استعمل لفظ «الأمة» في القرآن **أربعة استعمالات:**

١ ـ استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب؛ كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

٢ ـ البرهة من الزمن ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨].

٣ ـ الرجل المقتدى به ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

٤ ـ استعمال «الأمة» في الشريعة والطريقة؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

٨١١ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦].

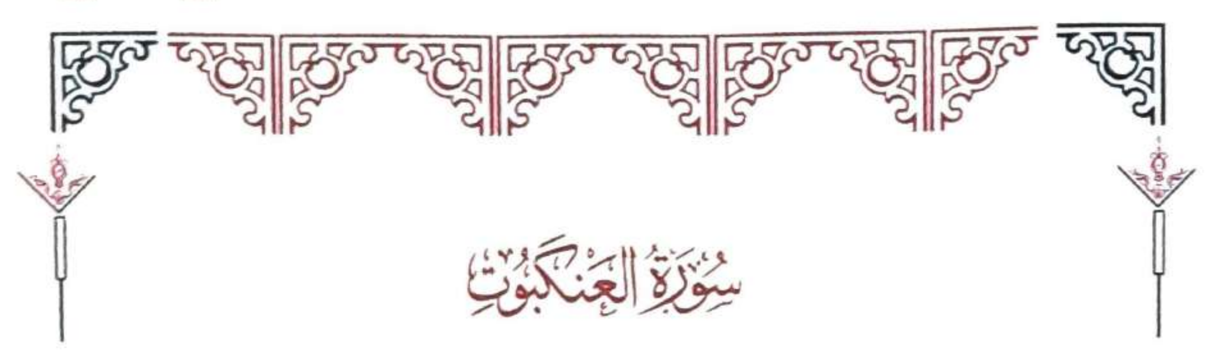
الهدى المنفي عنه ﷺ، هو هدى التوفيق؛ لأن التوفيق بيد الله وحده.

والهدى المثبت له ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه.

٨١٢ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨].

والوجه من الصفات التي يجب الإيمان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق.





سُورَةُ العَنكَبُوتِ

٨١٣ قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

الاستفهام في قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ للإنكار؛ أي: أن الناس لا يتركون دون فتنة؛ أي: ابتلاء واختبار.

٨١٤ قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

حملوا أوزار ضلالهم في أنفسهم، وأوزار إضلالهم غيرهم؛ لأن من سن سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

٨١٥ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الثناء الحسن على إبراهيم في دار الدنيا من جميع أهل الملل على اختلافهم من كفار ومؤمنين.

٨١٦ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الصلاح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة، وسائر الطاعات، وفي الآخرة يظهر بالجزاء الحسن.

٨١٧ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فإنكاره ﷻ عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية، وهو كذلك ألا ترى أنه آية واضحة، ومعجزة باهرة، أعجزت جميع أهل الأرض، هي باقية تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله، بخلاف غيره من معجزات الرسل عليهم السلام فإنها مضت وانقضت.

٨١٨ قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهذه الآية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة.





سورة الروم

٨١٩ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠].

والتحقيق أن معنى خلقه الناس من تراب: أنه خلق أباهم آدم منها، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٨٢٠ الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]؛ ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

٨٢١ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

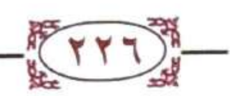
معناه: أن له الوصف الأكمل الذي هو أعظم الأوصاف وأكملها وأجلها في السماوات والأرض.

٨٢٢ قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

أي: كل فرقة من هؤلاء الفرق الضالين المختلفين المتقطعين دينهم قطعاً فرحون بباطلهم، مطمئنون إليه، معتقدون أنه هو الحق.

٨٢٣ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

أي: يتفرقون فريقين: **أحدهما**: في الجنة، **والثاني**: في النار.



٨٢٤ قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠].

أي: بإنزاله الغيث وإنبات النبات مما لا يقدر عليه إلا هو؛ فكان حقه على خلقه أن يعبدوه وحده لا إله إلا هو.





سورة لقمان

٨٢٥ قد تطلق العرب البشارة على الإخبار بما يسوء، ومنه قوله جل جلاله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧] وقول الشاعر:

وبشرتني يا سعد أن أحبتي　　جفوني وقالوا الود موعده الحشر

٨٢٦ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨].

معناه: لا تتكبر على الناس، والصعر: الميل، والمتكبر يميل وجهه عن الناس متكبراً عليهم معرضاً عنهم.





سورة السجدة

٨٢٧ الجن مكلفون على لسان نبيّنا ﷺ بدلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

٨٢٨ **قوله تعالى**: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

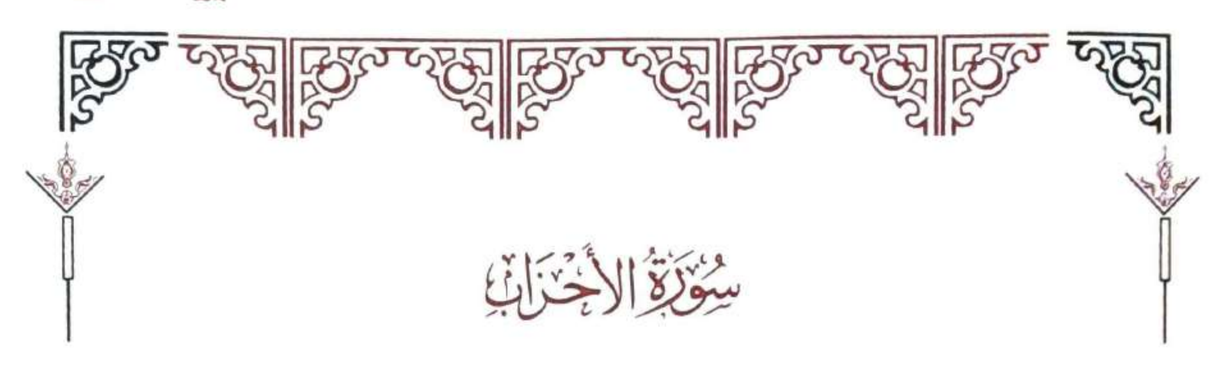
فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات.

٨٢٩ الإمام أحمد أتته البدع فنفاها والدنيا فأباها، وهذه حال أئمة المتقين وصفهم الله جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٨٣٠ **قوله تعالى**: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨].

أظهر أقوال أهل العلم عندي: هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء.





سورة الأحزاب

٨٣١ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

الخطاب الخاص لفظه بالنبي ﷺ يشمل حكمه جميع الأمة.

٨٣٢ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

ظاهر من امرأته وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي؛ يعني: أنها حرام عليه.

٨٣٣ قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

المراد بكون أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين: هو حرمتهن عليهم؛ كحرمة الأم، واحترامهم لهن كاحترام الأم. قال ابن كثير: أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام.

٨٣٤ قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض.

٨٣٥ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله ﷻ، ثقة به، وتوكلاً عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

٨٣٦ قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ صريح في أن الإيمان يزيد، فلا وجه للاختلاف فيه مع تصريح الله ﷻ به في كتابه.

٨٣٧ لفظة «كفى» تستعمل في القرآن واللغة العربية **استعمالين:**

تستعمل متعدية، وهي تتعدى غالباً إلى مفعولين، وفاعل هذه المتعدية لا يجر بالباء؛ كقوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ونحو ذلك من الآيات.

وتستعمل لازمة، ويطرد جر فاعلها بالباء المزيدة لتوكيد الكفاية؛ كقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦] ونحو ذلك.

٨٣٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٨٣٩ شمول الآية الكريمة لأزواج النبي ﷺ ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، رضي الله عنهم كلهم.

٨٤٠ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

لأجل أن يذهب عنكم الرجس، **والرجس**: كل مستقذر تعافه النفوس، ومن أقذر المستقذرات: معصية الله تعالى.

٨٤١ المطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٨٤٢ قول بعضهم: إن آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

خاصة بأزواج النبي ﷺ، فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي ﷺ لا حاجة إلى أطهرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن.

٨٤٣ من لطائف وفوائد الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ استدلاله من قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] بوجوب تغطية الوجه للمرأة:

فإن قيل: لفظ الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نص من كتاب، ولا سُنَّة، ولا إجماع على استلزامه ذلك، وقول بعض المفسرين:

إنه يستلزمه، معارض بقول بعضهم: إنه لا يستلزمه، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية على وجوب ستر الوجه.

فالجواب: أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على أن قوله تعالى فيها: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يدخل في معناه ستر وجوههن بإدناء جلابيبهن عليها، والقرينة المذكورة هي قوله تعالى:

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾، ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن، لا نزاع فيه بين المسلمين. فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب، كما ترى.

٨٤٤ من الأدلة القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة، وبعض أهل العلم يقول: إن قبيحة الوجه التي لا يرغب فيها الرجال لقبحها، لها حكم القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً، والمنصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب مع أن الوجه هو أصل الجمال.

٨٤٥ الله تعالى لا يخاطب النبي ﷺ في كتابه باسمه وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير؛ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١].

اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالغض منه، أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به ـ ردة عن الإسلام وكفر بالله.





سورة سبأ

٨٤٦ قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

قوله: ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾؛ أي: رجعي معه التسبيح؛ ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾؛ أي: ونادينا الطير بمثل ذلك من ترجيع التسبيح معه، والتحقيق: أن تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله جل جلاله يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو جل جلاله ونحن لا نعلمها.

٨٤٧ قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

يدل على الاستعداد لمكافحة العدو.

وقوله: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ يدل على أن ذلك الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين.

٨٤٨ قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾؛ أي: أن اصنع دروعاً سابغات من الحديد الذي ألناه لك، **والسرد:** نسج الدرع.

٨٤٩ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

فيه نص على أن الجن لا تعلم الغيب.

٨٥٠ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [سبأ: ١٩].

أي: أخباراً وقصصاً يسمر بها، ويتعجب منها، كما قال ابن دريد:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

٨٥١ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١].

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: ولا بالذي كان أمامه سابقاً عليه من الكتب.

٨٥٢ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

يبعد كل البعد أن يتناول الكفار الإيمان النافع في الآخرة بعدما ضيعوا ذلك وقت إمكانه في الدنيا.





سورة فاطر

٨٥٣ **قوله تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

أي: خالق السماوات والأرض، ومبدعهما على غير مثال سابق.

عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها؛ أي: بدأتها.

٨٥٤ **قوله تعالى:** ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

الرحمة المذكورة في الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي.

٨٥٥ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢].

الأحياء هنا: المؤمنون، والأموات: الكفار؛ فالحياة هنا حياة إيمان، والموت موت كفر.

٨٥٦ **قوله تعالى:** ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

قدَّم الظالم لئلا يقنط، وأخر السابق بالخير لئلا يعجب بعمله فيحبط.

٨٥٧ من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٥].

والواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين.

٨٥٨ **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

المكر: إظهار الطيِّب وإبطان الخبيث وهو الخديعة، والعرب تقول: حاق به المكروه إذا نزل به وأحاط به، ولا يطلق إلا على إحاطة المكروه خاصة ولا يقال: حاق به الخير.

٨٥٩ **قوله تعالى:** ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] الضمير فيهما راجع إلى الأرض ولم يجر لها ذكر.





سورة يس

٨٦٠ من لم ينتفع بالإنذار، ومن لم ينذر أصلاً ـ سواء في عدم الانتفاع، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠].

٨٦١ قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

آثارهم: هو ما سنُّوه في الإسلام من سُنَّة حسنة أو سيئة، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم.

المعنى الثاني: آثارهم: خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطاهم إلى الشر.

٨٦٢ قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

﴿فَطَرَنِي﴾ خلقني وابتدعني، أي شيء ثبت لي يمنعني من أن أعبد الذي خلقني وابتدعني وأبرزني من العدم إلى الوجود.

٨٦٣ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠]:

إنها قدرة باهرة، وحكمة بالغة، وإرادة قاهرة، وسلطة غالبة، قدرة من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

٨٦٤ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور، ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر.

٨٦٥ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

قوله: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾؛ أي: خلقاً كثيراً؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤].

٨٦٦ قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

وأصل معنى **التنكيس**: جعل أعلى الشيء أسفله.

جعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده، وقلة عقله، وخلوه من العلم.

٨٦٧ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

فالإنسان بالأمس نطفة واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام ينكر قدرة ربه على البعث.

٨٦٨ براهين البعث الأربعة التي كثر مجيئها في القرآن:

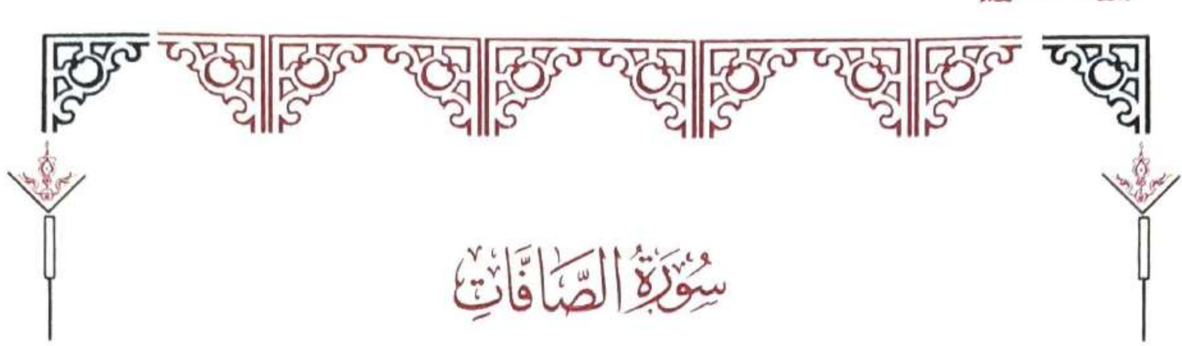
ـ خلق الإنسان: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

- خلق السماوات والأرض: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

- إحياء الأرض بعد موتها: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ﴾ [الحج: ٥].

- إحياء الموتى بالفعل؛ كقتيل بني إسرائيل.





سورة الصافات

٨٦٩ قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]:

الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون، وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]، ومعنى كونهم صافين: أن يكونوا صفوفاً متراصين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالى، من صلاة وغيرها.

٨٧٠ قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢].

الملائكة تزجر السحاب، وقيل: تزجر الخلائق عن معاصي الله بالذكر الذي تتلوه، وتلقيه إلى الأنبياء.

٨٧١ قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

أي: السماء الموالية للأرض، ومفهومه أن بقية السماوات ليست فيها مصابيح التي هي النجوم والكواكب كما قال: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، ويدل لهذا المفهوم ما جاء به عن قتادة: أن الله جعل النجوم لثلاثة أمور: زينة السماء الدنيا ورجوماً للشياطين وعلامات واهتداء في البر والبحر.

وهذه الأمور الثلاثة تتعلق بالسماء الدنيا؛ لأن الشياطين لا تنفذ إلى السماوات الأخرى؛ لأنها أجرام محفوظة.

٨٧٢ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: ﴿عَجِبْتَ﴾ بالتاء المفتوحة وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي ﷺ، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿بل عجبتُ﴾، بضم التاء وهي تاء المتكلم، وهو الله ﷻ، وفيها إثبات العجب لله تعالى.

٨٧٣ قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾؛ أي: أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني.. وهكذا.

٨٧٤ قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾، من الهدى العام؛ أي: دلوهم وأرشدوهم ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: طريق النار ليسلكوها إليها.

دلت هذه الآية أن الهدى يستعمل في الإرشاد والدلالة على الشر، ونظير ذلك في القرآن قوله: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

٨٧٥ قوله تعالى: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: ٣٢].

متبع الغاوي في غيه لا بد أن يكون غاوياً مثله، **والإغواء:** الإضلال.

٨٧٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤].

المجرمون جمع: مجرم، وهو مرتكب الجريمة، وهي الذنب الذي يستحق صاحبه عليه التنكيل الشديد.

٨٧٧ **قوله تعالى:** ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨].

عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، والعين جمع: عيناء، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء.

٨٧٨ **قوله تعالى:** ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩].

ألوانهن بيض بياضاً مشرباً بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبههن به.

٨٧٩ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧].

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: خلطاً من الماء البالغ غاية الحرارة.

٨٨٠ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

أي: يتبعونهم في ذلك الضلال والكفر مسرعين فيه.

٨٨١ الدليل أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام: قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبّر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية.

٨٨٢ **قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات ١٣٩، ١٤٠].

﴿إِذْ أَبَقَ﴾؛ أي: حين أبق، وهو من قول العرب: عبد آبق؛ لأن يونس خرج قبل أن يأذن له ربه.



سورة ص

٨٨٣ قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١].

قرأه الجمهور: ص بالسكون منهم القراء السبعة، والتحقيق أن ص من الحروف المقطعة في أوائل السور كـ(ص) في قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١].

قراءة من قرأ ص بكسر الدال غير منونة.

ومن قرأها بكسر الدال منونة.

ومن قرأها بفتح الدال.

ومن قرأها بضمها غير منونة.

كلها قراءات شاذة لا يعول عليها.

٨٨٤ قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١].

١ ـ الذكر بمعنى: الشرف.

٢ ـ الذكر اسم مصدر بمعنى: التذكير؛ لأن القرآن فيه التذكير والمواعظ، وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير.

٨٨٥ قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص: ٢].

﴿فِي عِزَّةٖ﴾؛ أي: حمية واستكبار عن قبول الحق، **والشقاق:** هي المخالفة والمعاندة كما قال تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

٨٨٦ **قوله تعالى:** ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [ص: ٣].

﴿كَمْ﴾ الخبرية، ومعناها: الإخبار عن عدد كثير، **والقرن:** يطلق على الأمة وعلى بعض من الزمن، أشهر الأقوال فيه: أنه مائة سنة.

٨٨٧ **قوله تعالى:** ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣].

معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاينة العذاب، ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾؛ أي: ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

٨٨٨ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

﴿قِطَّنَا﴾: القط: النصيب من الشيء؛ أي: عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي توعدنا به.

٨٨٩ كان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا تصديقاً لقوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩].

٨٩٠ **قوله تعالى:** ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

يدل على أنها تجري بأمره حيث أراد من أقطار الأرض.

٨٩١ **قوله تعالى:** ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

الضغث: الحزمة الصغيرة من ريحان ونحوه؛ أي: يأخذ حزمة فيها مائة عود فيضربها بها ضربة واحدة فيخرج بذلك من يمينه.

٨٩٢ قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

قال المفسرون فيه: إنه حلف في مرضه ليضربن زوجه مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ ضغثاً فيضربها به ليخرج من يمينه.

٨٩٣ قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

دلت الآية أن الاستثناء المتأخر لا يفيد، إذ لو كان يفيد لقال الله لأيوب: قل إن شاء الله ليكون ذلك استثناء في يمينك.

٨٩٤ الأمر بالسجود متقدم على خلق آدم.. قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢] ولا ينافي هذا أنه بعد وجود آدم جدد لهم الأمر بالسجود له تنجيزاً.

٨٩٥ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

كل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق، ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة لإجماع أهل الحق والباطل، كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة.

الظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أنها صفة كمال لائقة بالله ﷻ ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.







سورة الزمر

٨٩٦ قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

والإخلاص: إفراد المعبود بالقصد، في كل ما أمر بالتقرب به إليه.

٨٩٧ قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

أي: التوحيد الصافي من شوائب الشرك؛ أي: هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به.

٨٩٨ اتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كُفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

٨٩٩ التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية: الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخبط في الجهل والعمى وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ

الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

٩٠٠ **قوله تعالى:** ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الزمر: ٦] سبحانك ربنا ما أعظمك؛ فقد ركب تعالى عظام الإنسان بعضها ببعض، وكساها اللحم، وجعل فيها العروق والعصب، وفتح مجاري البول والغائط، وفتح العيون والآذان والأفواه وفرق الأصابع وشد رؤوسها بالأظافر إلى غير ذلك من غرائب صنعه وعجائبه، وكل هذا في تلك الظلمات الثلاث، لم يحتج إلى شق بطن أمه وإزالة تلك الظلمات. سبحانه ﷻ ما أعظم شأنه وما أكمل قدرته هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم، ولأن هذه الغرائب والعجائب من صنعه تعالى قال بعد التنبيه عليكم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

٩٠١ **قوله تعالى:** ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

أي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة المنطوية على الجنين.

٩٠٢ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨].

المراد بالقول: ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسُّنَّة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].



سورة غافر

٩٠٣ **قوله تعالى:** ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

والإماتة الأولى هي كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، والإماتة الثانية هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا، والإحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم، والإحياءة الثانية بعثهم من قبورهم أحياء يوم القيامة.

٩٠٤ **قوله تعالى:** ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣].

فالرزق مسبب عن المطر، والمطر سببه، فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر، للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

٩٠٥ **قوله تعالى:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

الإنذار: الإعلام المقترن بتهديد خاصة، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً؛ وإنما عبر عن القيامة بـ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ لأجل أزوفها؛ أي: قربها، والعرب تقول: أزف الترحل بكسر الزاي.

٩٠٦ **قوله تعالى:** ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ﴾ [غافر: ٤٤].

يعني: أنهم يوم القيامة يعلمون صحة ما كان يقول لهم، ويذكرون نصيحته، فيندمون حيث لا ينفع الندم.

٩٠٧ التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

٩٠٨ المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك، قال الله ﷻ: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

٩٠٩ من قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

٩١٠ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

القول الأول: اعبدوني أثبكم من عبادتكم.

والثاني: اسألوني أعطكم.

ولا منافاة بين القولين لأن دعاء الله من أنواع عبادته.

٩١١ **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

المبطل هو: من مات مصرّاً على الباطل.

٩١٢ **قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ [غافر: ٧٩].

أي: خلق لكم الأنعام، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ [النحل: ٥].

جعل تأتي على **ثلاثة معاني في القرآن:**

الأول: جعل بمعنى: اعتقد، منه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]؛ أي: اعتقدوهم إناثاً.

الثاني: جعل بمعنى: صير؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥].

الثالث: جعل بمعنى: خلق؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: خلق السماوات والأرض وخلق الظلمات والنور.

٩١٣ قوله تعالى: ﴿...وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: ٨٠].



عَلَيْهَا: أي: الأَنْعَام، والمراد بها هنا: الإبل؛ الْفُلْكِ: السفن، وقرن الأنعام بالفلك؛ لأن الإبل سفائن البر.

❁ ❁ ❁



سورة فصلت

٩١٤ **قوله تعالى:** ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣].

إنما قيل له: ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج ٢١، ٢٢]؛ والمسوغ لحذف الفاعل في قوله تعالى:

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ هو العلم بأن تفصيل آيات هذا القرآن لا يكون إلا من الله وحده.

٩١٥ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥].

الأكنة جمع: كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه.

٩١٦ **قوله تعالى:** ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

الآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام، رجح بعضهم أن الزكاة في هذه الآية زكاة الأبدان بفعل الطاعات واجتناب المعاصي.

٩١٧ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

الأجر جزاء العمل، وجزاؤهم هو نعيم الجنة، وذلك الجزاء ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع.

٩١٨ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: في تتمة أربعة أيام.

٩١٩ قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما ستة أيام.

٩٢٠ قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٤].

هذه الآية فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها: هي أن يُعبد الله جل جلاله وحده ولا يشرك به.

٩٢١ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

المراد بالهدى في هذه الآية: هدى الدلالة والبيان والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء.

٩٢٢ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧].

عبَّر جل جلاله عن الهلاك الذي أهلك به ثمود بعبارات مختلفة: الصاعقة، الصيحة، الرجفة، التدمير، الطاغية؛ ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد: وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم، **والصيحة**: الصوت المزعج المهلك.

والصاعقة: تطلق أيضاً على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معاً، ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم رجفت بهم الأرض من تحتهم؛ أي: تحركت حركة قوية، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميراً واضح. وقيل لها: طاغية؛ لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك.

٩٢٣ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يرد أولهم إلى آخرهم، ويلحق آخرهم بأولهم، حتى يجتمعوا جميعاً، ثم يدفعون في النار.

٩٢٤ قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

أي: لا يملون، **والسآمة**: الملل، ومنه قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

٩٢٥ قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

تحركت بالنبات. ولما كان النبات نابتاً فيها متصلاً بها، كان اهتزازه كأنه اهتزازها، فأطلق عليها بهذا الاعتبار.

٩٢٦ قوله تعالى: ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

ربت: زادت؛ معنى الزيادة الحاصلة في الأرض هي أن النبات لما كان نابتاً فيها متصلاً بها صار كأنه زيادة حصلت في نفس الأرض.

٩٢٧ قوله تعالى: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].

أي: ليس لهم مفر ولا ملجأ، **والظن** يطلق في لغة العرب التي نزل بها القرآن على **معنيين**:

أحدهما: الشك؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾؛ أي: أيقنوا ذلك وعلموه.

والظن هنا بمعنى: اليقين؛ لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص.





سُورَةُ الشُّورَىٰ

٩٢٨ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

أكد ﷻ في هذه الآية الكريمة، أنه هو الغفور الرحيم، وبيَّن فيها أنه هو وحده المختص بذلك فنرجو الله ﷻ الكريم الرؤوف الغفور الرحيم أن يغفر لنا جميع ذنوبنا، ويتجاوز عن جميع سيئاتنا، ويغفر لإخواننا المسلمين، إنه غفور رحيم.

٩٢٩ قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

المراد بأم القرى: مكة ـ حرسها الله ـ، والمراد بقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شامل لجميع الأرض، كما رواه ابن جرير وغيره، عن ابن عباس.

٩٣٠ الحلال هو ما أحلَّه الله والحرام هو ما حرَّمه الله، والدين هو ما شرعه الله فكل تشريع من غيره باطل ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

٩٣١ توحيد الأسماء والصفات ينبني على أصلين:

ـ تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ـ والإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

٩٣٢ فإن قيل: ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١] مع أنه على ما ذكرتم عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام؟

فالجواب: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً.

ومثاله في الضمير: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾.

فالضمير في قوله: ﴿بِهِ﴾ مفرد، مع أنه راجع إلى السمع والأبصار والقلوب.

فقوله: ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: بما ذكر من سمعكم وأبصاركم وقلوبكم.

ومثاله في الإشارة: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]؛ أي: بين ذلك المذكور من فارض وبكر.

٩٣٣ **قوله تعالى**: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١٢].

هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها: إقليد، وجمعها: مقاليد على غير قياس، والإقليد: المفتاح؛ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً.

٩٣٤ **قوله تعالى**: ﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

الاجتباء في اللغة العربية معناه: الاختيار والاصطفاء.

٩٣٥ الذي يظهر لي: أن الميزان في سورة «الشورى» وسورة «الحديد» هو العدل والإنصاف، والميزان في سورة «الرحمٰن» هو الميزان المعروف، أعني: آلة الوزن والدليل: أنه عبّر بإنزال الميزان لا بوضعه في سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [١٧].

وقال في الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، أما في سورة الرحمٰن فقد عبر بالوضع لا الإنزال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧]، ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٩].

٩٣٦ عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله يجازى به في الدنيا، ولا حظ له منه في الآخرة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] واعلم أن هذا الذي ذكرنا أدلته من أن الكافر ينتفع بعمله الصالح في الدنيا مقيد بمشيئة الله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

٩٣٧ **قوله تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

أي: إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم، فتكفوا عني أذاكم وتمنعوني من أذى الناس؛ فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ؛ لأنه مبذول لكل أحد؛ لأن كل أحد يوده أهل قرابته وينتصرون له من أذى الناس.

٩٣٨ **قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢].

الجواري السفن واحدتها جارية سميت جارية لأنها تجري في

البحر كالأعلام؛ أي: كالجبال شبه السفن بالجبال لعظمها.

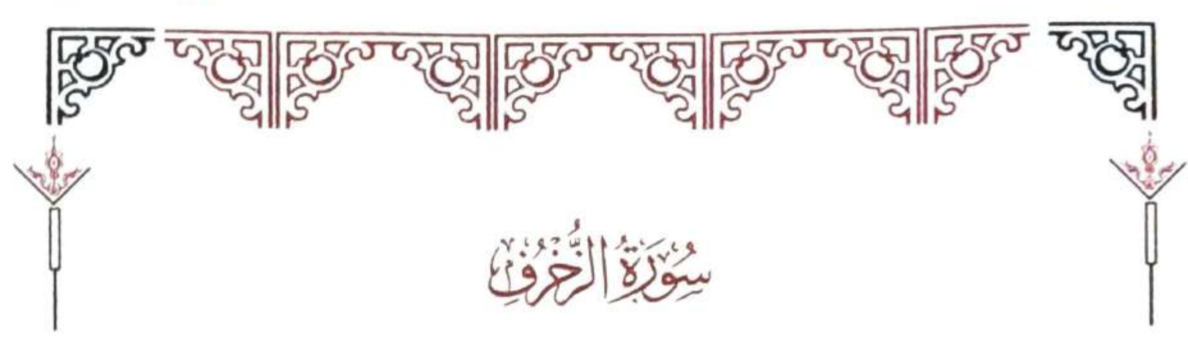
٩٣٩ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧].

الفواحش من جملة الكبائر والأظهر أنها من أشنعها؛ لأن **الفاحشة في اللغة:** هي الخصلة المتناهية في القبح.

٩٤٠ قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

سمي القرآن نوراً؛ لأنه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك.





سورة الزخرف

٩٤١ قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨].

فأهلكنا قوماً أشد بطشاً من كفار مكة؛ أي: أكثر منهم عَدَداً وعُدَداً وجلداً؛ فعلى الأضعف الأقل أن يتعظ بإهلاك الأقوى الأكثر.

٩٤٢ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الزخرف: ١٢].

﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأصناف والزوج تطلقه العرب على الصنف. ومن إطلاق الأزواج على الأصناف في القرآن قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٨].

٩٤٣ قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

سبحان: تنزيه الله أكمل التنزيه وأتمه، عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، **ومقرنين**؛ أي: مطيقين، ومنه قول ابن معدي كرب:

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا

٩٤٤ قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾؛ لأن الأنثى غالباً لا تقدر على القيام بحجتها ولا الدفاع عن نفسها.



٩٤٥ من إطلاق الأمة بمعنى الشريعة والدين كما في هذه الآية: قوله تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ أي: على شريعة وملة ودين.

٩٤٦ **قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

بريء من عبادة كل معبود إلا المعبود الذي خلقه وأوجده فهو وحده معبوده. ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ أي: خلقني يدل على أنه لا يستحق العبادة إلا الخالق وحده جل وعلا.

٩٤٧ لا إله إلا الله: نفي وإثبات فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات، وذلك في قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] ومعنى الإثبات منها هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله.

وذلك في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦].

٩٤٨ **قوله تعالى**: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

يعنون بالقريتين: مكة والطائف، وبالرجلين من القريتين: الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود.

٩٤٩ من إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ

لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

٩٥٠ قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومعنى تسخير بعضهم لبعض ـ خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك.

٩٥١ قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

يعني: أن النبوة والاهتداء بهدى الأنبياء، وما يناله المهتدون يوم القيامة خير مما يجمعه الناس في الدنيا من حطامها.

٩٥٢ والحق أن الأرزاق قسمة الخلاق، فهو أرأف بالعباد من أنفسهم، وليس في خزائنه من نقص ولكنها الحكمة لمصلحة عباده، فهو سبحانه يعطي بقدر، ولا يمسك عن قتر، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

٩٥٣ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

من قولهم: عشا ـ بالفتح ـ عن الشيء يعشو ـ بالضم ـ إذا ضعف بصره عن إدراكه، وترتيب الجزاء على الشرط يدل على أن سبب تقييضه له هو غفلته عن ذكر الرحمٰن.

٩٥٤ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿آسَفُونَا﴾ معناه: أغضبونا وأسخطونا.

٩٥٥ **قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

والفاعل المحذوف في قوله: ﴿ضُرِبَ﴾ قال جمهور المفسرين: هو عبد الله بن الزبعري السهمي قبل إسلامه.

٩٥٦ **قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

قرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة (يصِدون) بكسر الصاد والمعنى: يضجون ويصيحون، وقيل: يضحكون.

٩٥٧ المجادلة الباطلة: هي المراد من قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾ [الزخرف: ٥٨] والمجادلة الحقة هي المراد من قوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٩٥٨ **قوله تعالى:** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾ [الزخرف: ٥٨].

ما ضربوا عيسى مثلاً إلا من أجل الجدل والخصومة بالباطل والمراد بالجدل هنا: الخصومة بالباطل لقصد الغلبة بغير حق.

٩٥٩ نزول عيسى في آخر الزمان حيّاً علم للساعة؛ أي: علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

٩٦٠ **قوله تعالى:** ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

قوله: ﴿ظَلَمُواْ﴾؛ أي: كفروا، بدليل قوله في مريم في القصة بعينها: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

٩٦١ **قوله تعالى:** ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].

﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ فيه لعلماء التفسير وجهان:

أحدهما: أن المراد بأزواجهم نظراؤهم وأشباههم في الطاعة وتقوى الله.

والثاني: أن المراد بأزواجهم نساؤهم في الجنة؛ لأن هذا الأخير أبلغ في التنعم والتلذذ من الأول.

ومفرد الأزواج زوج بلا هاء، وأن الزوجة بالتاء لغة لا لحن، خلافاً لمن زعم أن الزوجة لحن من لحن الفقهاء.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: أقوال العلماء فيه راجعة إلى شيء واحد، وهو أنهم يكرمون بأعظم أنواع الإكرام وأتمها.

٩٦٢ **قوله تعالى:** ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿لِيَقْضِ﴾: اللام لام الدعاء، مرادهم سؤال مالك خازن النار أن يدعو الله لهم بالموت؛ أي: ليمتنا فنستريح بالموت من العذاب.

٩٦٣ **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

معناه: أنه هو وحده الذي يعظم ويعبد في السماوات والأرض.

٩٦٤ يكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب التوحيد في عبادته: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٩٦٥ **قوله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

الاعتراف بربوبيته ﷻ لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً.

٩٦٦ دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى **ثلاثة أقسام:**

١ ـ توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٢ ـ توحيده ﷻ في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله».

٣ ـ توحيده ﷻ في أسمائه وصفاته.

٩٦٧ **قوله تعالى:** ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

الصفح: الإعراض عن المؤاخذة بالذنب، قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو، ﴿سَلَٰمٌ﴾: سلمتم منا لا نسافهكم ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا.

٩٦٨ **قوله تعالى:** ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ وما في معناه ـ منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ. والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم ـ وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله ـ تعالى ـ.



سورة الدخان

٩٦٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

أي: كثيرة البركات والخيرات ولا شك أن ليلة هي خير من ألف شهر كثيرة البركات والخيرات جداً.

وقد بيَّن ـ تعالى ـ أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح. ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل. فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح بلا مستند كتاب، ولا سُنَّة صحيحة.

٩٧٠ قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٤، ٥].

﴿فِيهَا﴾؛ أي: يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة التي هي ليلة القدر ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾؛ أي: ذي حكمة بالغة.



سورة الجاثية

٩٧١ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣ ـ ٥].

ذكر ﷻ في هذه الآيات الكريمة، من أول سورة «الجاثية» ـ **ستة براهين** من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده ـ تعالى ـ.

الأول منها: خلقه السماوات والأرض.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم.

ولذا قال: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ثم قال: ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

٩٧٢ لفظ الآية يطلق في القرآن العظيم إطلاقين:

- إطلاق الآية على الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم؛ كقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٦].

والثاني: إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

٩٧٣ **قوله تعالى:** ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

الأفاك: كثير الإفك، وهو أسوأ الكذب، **والأثيم**: هو مرتكب الإثم بقلبه وجوارحه، فهو مجرم بقلبه ولسانه وجوارحه.

قال بعض العلماء: ويل: واد في جهنم. والأظهر أن لفظة ويل كلمة عذاب وهلاك، وأنها مصدر لا لفظ له من فعله.

٩٧٤ **قوله تعالى:** ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠].

أي: أمامه جهنم يصلاها يوم القيامة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامهم ملك.

٩٧٥ **قوله تعالى:** ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

هذا القرآن، براهين قاطعة، وأدلة ساطعة، على أن الله هو المعبود وحده، وأن ما جاء به محمد ﷺ حق.

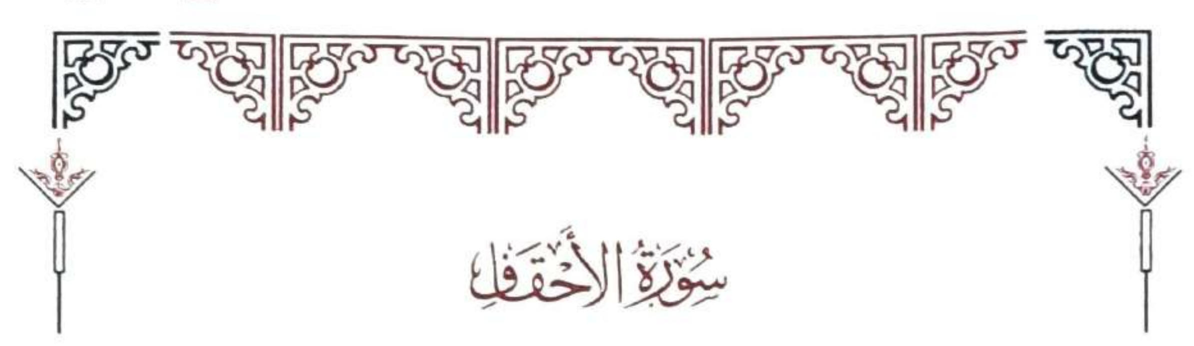
٩٧٦ **قوله تعالى:** ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

وفي هذه الآية الكريمة سؤال عربي معروف، وهو أن المبتدأ الذي هو قوله: هذا اسم إشارة إلى مذكر مفرد، والخبر الذي هو بصائر جمع مكسر مؤنث. فيقال: كيف يسند الجمع المؤنث المكسر إلى المفرد المذكر؟

والجواب: أن مجموع القرآن كتاب واحد، تصح الإشارة إليه بهذا، وهذا الكتاب الواحد يشتمل على براهين كثيرة، فصح إسناد البصائر إليه لاشتماله عليها كما لا يخفى.

٩٧٧ الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار في قوله جل وعلا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].





سُورَةُ الأَحْقَافِ

٩٧٨ قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

صيغة الجمع في قوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ للتعظيم وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: خلقاً متلبساً بِالْحَق.

٩٧٩ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

الأظهر في قوله: ﴿بِدْعًا﴾ أنه فعل بمعنى المفعول فهو بمعنى مبتدع والمبتدع هو الذي أبدع على غير مثال سابق.

٩٨٠ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

في دار الدنيا فما أدري أأخرج من مسقط رأسي، أو أقتل وما أدري ما يفعل بكم: أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة ونحو ذلك.

٩٨١ قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠].

والشاهد في الآية: هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، كما قال الجمهور وعليه فهذه الآية مدنية في سورة مكية.

٩٨٢ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

والخوف في لغة العرب: الغم من أمر مستقبل، **والحزن**: الغم من أمر ماض.

٩٨٣ **قوله تعالى:** ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

أنها في حال حملها به تلاقي مشقة شديدة ومن المعلوم ما تلاقيه الحامل من المشقة والضعف إذا أثقلت وكبر الجنين في بطنها.

٩٨٤ **قوله تعالى:** ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

أنها في حالة وضع الولد تلاقي من ألم الطلق وكربه مشقة شديدة، كما هو معلوم وهذه المشاق العظيمة التي تلاقيها الأم في حمل الولد ووضعه، لا شك أنها يعظم حقها بها، ويتحتم برها والإحسان إليها، اللَّهُمَّ ارزقنا بر والدينا آمين.

٩٨٥ أجمع العلماء أن أقل مدة للحمل ٦ أشهر؛ لقوله ﷻ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] بقي عن مدة الفصال من مدة ال٣٠ شهراً لمدة الحمل ٦ أشهر.

٩٨٦ **قوله تعالى:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وأشهر الأقوال في ذلك: أنهم خمسة، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

٩٨٧ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿بَلَٰغٌ﴾ خبر مبتدإ محذوف تقديره: هذا بلاغ؛ أي: هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.







سورة محمد

٩٨٨ قوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١].

أبطل ثوابها فما عمله الكافر من حسن في الدنيا، كقري الضيف؛ وبر الوالدين؛ وحمي الجار؛ وصلة الرحم؛ والتنفيس عن المكروب؛ يبطل يوم القيامة.

٩٨٩ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها: أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً.

٩٩٠ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

معنى نصر المؤمنين لله ـ نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا.

٩٩١ قوله تعالى: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

أي: أبطلها؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة.

٩٩٢ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

وهذه الولاية المختصة بالمؤمنين هي ولاية الثواب والنصر

والتوفيق والإعانة، فلا تنافي أنه مولى الكافرين ولاية ملك وقهر ونفوذ ومشيئة؛ كقوله: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

٩٩٣ الكفار يوم القيامة إذا جاءتهم الساعة يتذكرون ويؤمنون بالله ورسله وأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفعهم لفوات وقته ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

٩٩٤ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى: بل، بيَّن أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ولا لفهم قرآن؛ تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به أمر لا بد منه للمسلمين، وقد بيَّن النبي ﷺ أن المشتغلين به هم خير الناس: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن تصفحها وتفهمها وإدراك معانيها والعمل بها فإنه معرض عنها غير متدبر لها فيستحق الإنكار والتوبيخ.

٩٩٥ قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

أي: لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ أصله من الوتر، وهو الفرد. فأصل قوله: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم؛ بل يوفيكم إياها.

٩٩٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦].

ولا يسألكم النبي ﷺ أموالكم أجراً على ما بلَّغكم من الوحي المتضمن لخير الدنيا والآخرة.



سورة الفتح

٩٩٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح: صلح الحديبية لأنه فتح عظيم.

صلح الحديبية هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام.

الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ عام ست كانوا ألفاً وأربعمائة، وعند خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان كان معه عشرة آلاف مقاتل بسبب صلح الحديبية.

ولفظ الماضي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين - خلاف الظاهر.

وسورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه ﷺ راجعاً إلى المدينة، والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على المضي، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

٩٩٨ والحق الذي لا شك فيه أن الإيمان يزيد وينقص، كما

عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسُّنَّة ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٩٩٩ يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات، وهي: غضبه ولعنته ونار جهنم ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قوله في الغضب: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

وقوله في اللعنة: ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

وقوله في جهنم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

١٠٠٠ **قوله تعالى:** ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

والسكينة تشمل الطمأنينة والسكون إلى الحق والثبات والشجاعة عند البأس.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

